وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي التبسي- تبسة-
كليّة الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي

السياق وأثره في فهم النص القرآني
- نماذج مختارة-

مذكّرة مكمّلة لنيل شهادة الماستر "ل.م.د" في اللّغة والأدب العربي
تخصّص : نقد حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
- مباركي خلود
- مباركي صورية

إشراف الأستاذ:
سلاط قدور

لجنة المناقشة:

اللقب والاسم	الدرجة العلمية	الصفة
نويري ابراهيم	أستاذ محاضر -ب-	رئيسا
سلاط قدور	أستاذ محاضر -ا-	مشرفا ومقرّرا
عطاالله سعاد	أستاذ محاضر -ب-	مناقشا

السنة الجامعية: 2020/2019

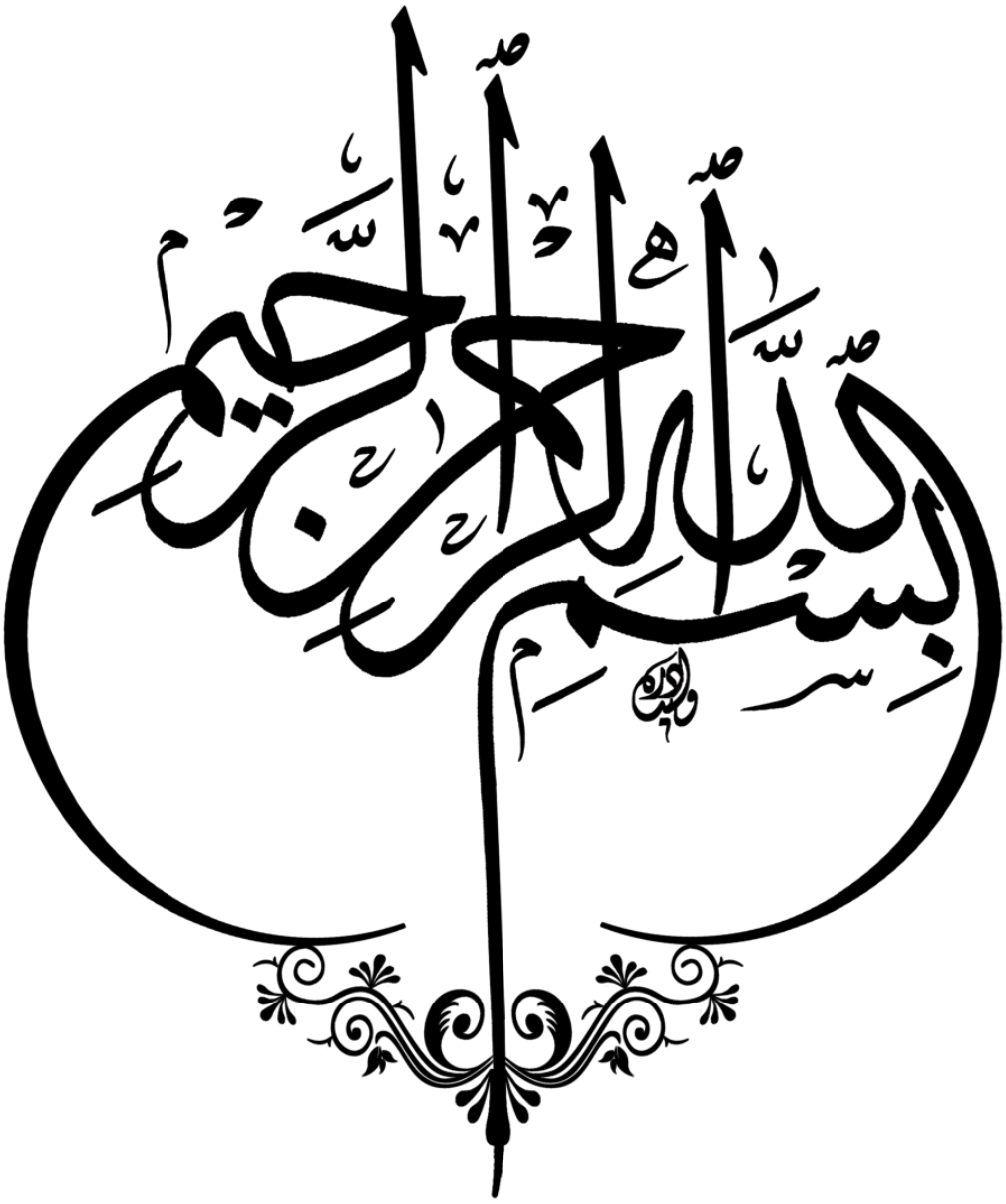
بسم الله الرحمن الرحيم

شكرا وعرفانا

قد يقف المرء عاجزا على رد الجميل لذوي الفضل، وقد لا تطاوعه أساليب التعبير ليعبر عن معاني الشكر والتقدير، أولا وأخيرا الذي بعونه وقدرته تم انجاز هذا البحث ومن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من لا يشكر لا يشكر لله"

أتوجه بالشكر الجزيل والعرفان للأستاذ المشرف الدكتور "سلاط قدور" على مساعدته وتوجيهاته ونصائحه والشكر موصول إلى اعضاء لجنة المناقشة على قراءتهم لهذا البحث وتحملهم مشاق النظر والمتابعة والتقديم في ظل هذه الظروف غير العادية لتصويب أخطائها وتقويم ما اعوج من منظهرها وجوهرها، كما أتقدم بخالص شكري للدكتور هواري بودين الذي أعاننا على تخطي الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث

وأخيرا الشكر موصول إلى مخرج هذا البحث بهيأته وشكله فنسأل الله ان يكافئ الجميع بخير الجزاء

إهداء

إلى الذي تاهت الكلمات في وصفه وعجز اللسان في ذكر مآثره، إلى سندي وقدوتي إلى النور الوضاء مصدر فخري، إلى ذلك الينبوع الذي اغترفت منه الحنان، إلى الذي يعجز القلم واللسان على خطه في الكلمات إلى من جعل نفسه شمعة تغترف من أجل أن ينبر دربي وغلى من تعب وشقى من أجل راحتي وسعادتي يا ابي الغالي "مباركي محمد الزين" أدامكﷲ ورعاك ،إلى نوع العيون ورمش الجفون إلى من حوتني بحضنها الدافئ فكانت كل كياني وأمدتني بكل ما تملك إلى من أحس بلأما ن بين ذراعيها، وأرى لأمل في عينيها إلى الحنان الفياض إلى أمي التي ربتني "مباركي دالية" وأمي التي ولدتني "مباركي زينة" حماكماﷲ وأدامكما عصافير مغردة لتلأ حياتي بأعذب لألحان، إلى النجوم والكواكب إلى الورود البهية إلى من قاسموني حنان الولدين، إخوتي وأخواتي، أتوجه بالشكر الخاص إلى المحبة والحنون أختي العالية قضيلة وزوجها "حكيم" إلك يا جمال كل البيت أختي الغالية زهرة وزوجها "ياسين" إلى الحنونة ورمز لابتسامة أختي العالية هناء وزوجها "عبد الغفور" إلى حبيبة القلب أختي الغالية "نوال".، إلى من أرى التفاؤل بأعينهم وأرى السعادة في وجوههم إلى شعلة النور ولأمل حميد وزوجته مريتم، إلى الغالي كمال وأخي الرائع علي، إلى القلب الطيب سمير وزوجته خديجة، إلى قدوتي عمار وزوجته مليكة، وإلى من كان صديقي وقدم يد العون أخي عيسى وزوجته نور، وصديقة طفولتي اخي اسماعيل والغالي ابراهيم وغلى كل براعم البيت دون استثناء.

إلى من تقاسمت معها هذا البحث رفقية دربي خلود، إلى توأم روحي جباري هبة، إلى من هم سر سعادتي ومن تقاسمت معهم حلو .الحياة ومرها إلى غاليتي وحبيبتي بثينة، نورة، سارة، زهية، وفاء، وردة، إيمان، منية، هدى وكل من صديقاتي إلى كل الذين يحبهم قلبي ولم يذكرهم لساني أهدي ثمرة جهدي هذه

وفي لأخير أتقدم بالشكر والتقدير إلى لأخ ياسين وبالشكر الجزيل والعرفان الجميل للدكتور هواري بومدين على مساعدته وتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت لي مفازا في انجاز هذه المذكرة المتواضعة

إهداء

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك خلقت فأبدعت وأعطيت فأفضت، لك حصر لنعمتك لا حدود لفضلك، وصلى الله وسلم على أشرف عبادك وأكمل خلقك خاتم المرسلين ومعلم المعلمين نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم خير من علم وأفضل من نصح

إلى أول من تفضل لساني بإسمها فنبض قلبي إلى التي أعطتي لأمل الذي أعيش به إلى التي وهبت حياتها لي وأمرت أن تكمل رسالتها في الحياة فأنارت لنا السب وكانت لنا المثل لأعلى إلى التي أهديتها حياتي لن تكفي حقها أمي ثم أمي الحبيبة حفظها الله لنا فطيمة مباركي

إلى الذي لا مثيل له كان أو سيكون من سيعيش في أعماقي وكان وراء كل خطوة خطوتها في طريق العلم إلى من علمني مبادئ الحياة ورباني على الصدف ولاخلاص أبي العزيز حفظه الله لنا الشافعي مباركي.

إلى بلسم روحي وحياتي إلى من هم أنس عمري ومخزن ذكرياتي ومصدر سعادتي إخوتي عادل، سلوى، شهرزاد، يسرى وردة

إلى صديقتي وتوأم روحي التي شاركتني عناء هذه المذكرة الغالية على قلبي صورية مباركي

إلى من سرنا سويا ونحن نشق الطريق معا نحو النجاح ولابداع إلى من تكاتفنا يدا بيد ونحن نقطف زهرة علمنا بثينة، نورة، وهيبة

إلة من علومني حروفا من ذهب وعبارات من أسمى وأجلى عبارات في العالم، إلى من صاغوا لي من علمنهم حروفا ومن فكرهم منارة تنير لنا مسيرة العلم والنجاح إلى أستاذتي الكرام وعلى رأسهم لأستاذ هواري بومدين

وفي لأخير أهذي هذا العمل المتواضع راجية من المولى عز وجل أن نجد القبول والنجاح

مقدمة

مقدمة:

الحمد الله الذي إليه المساق والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله دليل الأمة إلى الرشاد.

إنّ الحاجة إلى توظيف مناهج يرجع إليه ويستند عليها في فهم الخطاب القرآني قد أصبحت ملحة، وخاصة عند ظهور التأويلات الفاسدة للألفاظ التي يمكن أن يتحملها اللفظ لغة، ممّا دفع بالأصوليين إلى توسيع طرق الاستدلال إلى أن بلغت الاعتماد على القرائن والتي من بينها السياق، الذي ركز عليه المجتهدون للوصول إلى الفهم الصحيح للخطاب الشرعي المتضمن في الكتاب والسنة، وعلى الرغم من أنهم لم ينظروا له إلى يسيرا، ولكنهم عملوا به واعتمدوا عليه كثيرا في استنباط الأحكام، فالسياق يعد من أهم المباحث التي اهتم بها العلماء قديما وحديثا حيث يعتبر محورا رئيسا من محاور الدلالة، وثمرة من ثمرات اللسانيات حيث أنّ غاية علوم اللّغة جميعا هو الوصول إلى المعنى، ولتحقيق هذه الغاية قامت نظريات أهمها النظرية السياقية التي تزعمها الإنجليزي فيرث في العصر الحديث حيث مثل السياق بالمفتاح؛ لأنّه حسب تعبيره أنّ السياق يحدد الدلالة المقصودة فبدونه تبقى الكلمات مقفلة والنّص والجمل في حالة من الغموض، فهو يزيل اللبس عن الكلمات والنصوص وهذا الاهتمام المتزايد بالنظرية السياقيّة غيّر مجرى الدّراسات اللّسانية، وقبل ذلك كان وعي علماء العربية قديما بأهمية السياق في تبيين دلالة الألفاظ، حيث استعانوا به في تفسير القرآن الكريم وتحليل النصوص بهدف الوصول إلى دلالاتها بدقّة، فقد كان السّياق متحكما أصيلا عند علمائنا في تراثنا العربي.

أمّا سبب اختيارنا لهذا الموضوع انجذابنا وميلنا إلى دراسة موضوع السياق لما له من أهمية في فهم النّص القرآني وقد الدّراسة منصبة أساسا على لغة القرآن الكريم ولذلك جاء موضوع بحثنا موسوما: السياق وأثره في فهم النّص القرآنيّ.

وقد سيق هذا البحث للإجابة عن الإشكاليات التالية:

ما ماهية السياق؟ وما هي أهمية السّياق القرآني وخصائصه أنواعه ؟وما مدى أثر السياق في فهم الخطاب القرآني؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات قسمنا البحث إلى فصلين بمقدمة ومدخل وخاتمة وقائمة مصادر ومراجع.

ففي المدخل تناولنا المفاهيم الأساسية لعنوان البحث من تعريف السياق والأثر والنّص والسياق القرآني.

وتناولنا في الفصل الأوّل المباحث النّظرية للسّياق من تحديد مفهومه في التراث العربيّ من خلال الوقوف على مفهوم السياق عند العرب القدامى، ثمّ مفهومه عند العرب المحدثين.

وفي المبحث الثّاني تناولنا مفهوم السياق في التراث الغربي، من خلال بيان مفهومه عند المدارس اللّسانية الأوربيّة ، وكذلك مفهومه عند المدارس اللّسانية الأمريكية.

وفي الثالث وقفنا على أهميّة السياق القرآني وبيان خصائصه وأنواعه.

وفي الفصل الثاني وقفنا على أنماط السياق وتطبيقاته في الخطاب القرآني.

وذلك من خلال المباحث التالية ذكرها:

المبحث الأوّل : أثر سياقات النّص القرآني في فهم النّص.

فوقفنا في مطالبه الثالثة على السّياق السّببي والمكاني والتّداولي.

وفي المبحث الثّاني: أثر أنماط السياق القرآني في فهم النّص، وذلك من خلال الوقوف على السياق الداخلي وأثره في فهم النّص، ثم أثر السياق الخارجي في فهم الخطاب.

وفي الخاتمة وقفنا على أهمّ النتائج التّوصيات.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التّحليلي، فتجلّى الوصفي في الجانب النّظريّ من خلال الوقوف على المفاهيم الأساسيّة لظاهرة السّياق ، وأمّا المنهج التّحليليّ فظهر في الجانب التطبيقيّ من تحرير الأمثلة المتعلقة بالسّياق من القرآن الكريم وتحليلها اعتمادا على كلام المفسرين وأئمة اللّغة العربيّة.

وقد اعتمدنا في البحث على مجموعة من المصادر والمراجع كانت السبيل الأمثل للوقوف على موضوع السياق وأثره في فهم النّص القرآنيّ، ومن جملة ذلك كتب التفسير على اختلاف مناهجها؛ لأن الموضوع يتعلق بالقرآن الكريم، نذكر منها: الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني للالوسي، التحرير والتنوير لابن عاشور، غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري

ومجموعة أخرى مهمّة من المراجع يأتي ذكرها في قائمة المصادر والمراجع .

وقد اعترض هذا البحث مجموعة العوائق والصعوبات كان من جملتها:

العامل الزمني والظروف الاستثنائية وغير العاديّة المتمثلة في جائحة كورونا التي كانت عائقا في التواصل مع ما من شأنه إثراء مادة البحث كالتواصل مع الأستاذ المشرف وكذلك التواصل مع المكتبة المركزية فكان من وراء ذلك قلة المصادر والمراجع وندرتها.

ندرة المصادر الغربية المترجمة باللّغة العربية في باب السياق.

ما يحتاجه القرآن الكريم من شدّة الضبط والتّحري والحذر والدّقة وصعوبة التّعامل مع النّص القرآني لخصوصيته وقداسته.

مدخل مفاهيمي

مدخل مفاهيمي:

إنّ الاهتمام بالسّياق والبحث فيه والتنظير له كأداة إجرائية في الدرس اللساني الحديث هو وليد الدلالة اللغوية، ولقد ميزت الدراسة الدلالة بين أنواع عديدة من المعاني واعتبرتها أساسية في الوصف الدّلالي، وهو الشيء الذي أفضى إلى اهتمامها بالسياق باعتبار أنه يلعب دورا مركزيا في تحديد المعنى[1]، أي تحديد الدلالة العامة التي يقصدها الباحث إذ يكاد يتفق معظم الدلاليين على أن للكلمة معنى قاعدي ومعنى سياقي وبذلك يظهر أن أي اقتراب من قضية المعنى يجب معرفة السياق حيث أن عملية استنباط المعنى تخضع إلى تحديد دلالة الألفاظ المفردة داخل السياق من جهة، ثم ضبط مقام التركيب في سياق الخطاب من جهة أخرى[2].

أي أنّ الكلمة المفردة لا يتحدد معناها إلا ضمن السّياق ولهذا الأخير دور كبير في تحديد المعنى أو القصد الكامن وراء أي مفردة أو كلمة، وهذا يدفعنا إلى القول: أن الكلمة لا يتضح معناها إلا من خلال الاستعمال، حيث أن معنى الكلمة هو مجموع استعمالاتها، فالكلمة ليس لها معنى خارج السياق[3] ويعد السياق بطريقة سياقية تتحكم فيها القرائن الخاصة بنظام اللغة التي يدركها المتلقي عبر معرفته لهذا النظام[4].

حيث أن للكلمة معنيان أولهما معنى معجمي أو أساسي لنقل حرفي يشير إلى بعد دلالي مجرد وثانيهما معنى سياقي.

المفهوم اللّغوي للسّياق:

السّياق في القاموس العربي: من مادة سوق وهو من سوق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا وهو سائق وسواق (...) وساق إليها الصداق والمهر سياقا وأساقه (...) وساق خلال

---

[1]– علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري (من البنية الى القراءة)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2002، ص15.

[2]– خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة (مع نصوص وتطبيقات)، بيت الحكمة، ط1، 2009، ص27.

[3]– كلود جيرمان وريمون لوبلون، علم الدلالة، ترجمة: نور الهدى لوشن، المكتب الجامعي الحديث، ط1، 2006، ص48.

[4]– خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص9.

من امرأته أي أعطاها مهرها والسياق: المهر، وساق بنفسه سياقا نزع لها عند الموت ويقال فلان في السياق أي في النزع أثناء الموت والسياق: نزع الروح[1].

فنجد مادة السّياق عند ابن منظور تتضمن المعاني التالية: قاد، أعطى، نزع، فهي تتضمن معنى التتابع.

السّياق في القاموس الغربي:

قاموس الجيب: حدد لفظ السياق في هذا القاموس كما يلي: " السّياق هو ما يصاحب أي يسبق أو يتبع نصا للتّوضيح "

روبر الصفير: من تأليف " ألان ري" و" دي بوف": حاول واضعاه أن يحددا السّياق اعتمادا على تعريفين:

أ- مجموع نص يحيط بعنصر لغوي (كلمة، جملة، جزء من ملفوظ) يتعلق معناها وقيمتها.

ب- مجموع الظروف التي إطارها يندرج فعل ما هناك السياق السيكلوبي للتصرف، والسياسي والعائلي.

أ- المفهوم الاصطلاحي:

أما المعنى الاصطلاحي للسياق فنجد له في مؤلفات اللغة عدة تعاريف وحدود ، فهو بمعناه العام "النظم اللفظي للكلمة، وموقفها من ذلك النظم"[2].

أو هو كما يقول صاحب معجم علم اللغة النظري "السياق" (Contexte) هو البيئة المحيطة بالفونيم أو المورفيم أو الكلمة أو الجملة وقد عرفه محمود الصعران بقوله: هو جملة العناصر المكونة للموقف الإعلامي أو للحالة الكلامية"[3].

يتكون مصطلح السياق من السابقة اللاتينية بمعنى: مع أو اللاتينية وتعني النص وقد قصر صاحب معجم المصطلحات الأدبية ترجمة المصطلح في القرينة الحالية دون الالتفات إلى المستويات السياقية الأخرى وبذلك ينحصر -عنده- في السياق الخارجي، وقد أشار عبد

---

[1]- ابن منظور ابن مكرم المصري، لسان العرب، تح، عبد الله الكبير ومحمد أحمد حسب الله ومهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط1، د ت، ج 3، ص166.

[2]- سيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تح: كمال بشر، مكتبة الشباب، د ط، د ت، ص59.

[3]- فوزي عيسى، رانيا فوزي عيسى، علم الدلالة النظرية والتطبيق، دار المعرفة، جامعة الإسكندرية، ط1، 2008، ص59.

الفتاح البركاوي إلى أنّ مصطلح السّياق قد اتخذ عدة معاني هي: ما يحيط بالوحدة اللغوية المستعملة في النص كما يعني قيود التوارد المعجمي، كما يعني النص اللغوي الذي يتسم بسمة نسبية ويؤدي معنى متكامل سواء كان ذلك النص مكتوبا أم ملفوظا كما يعني أيضا الأحوال والمواقف الخارجية ذات العلاقة بالكلام[1].

ويمكننا أن نستخلص من هذه التعاريف والمفاهيم المتناثرة أن: سياق الشيء يحدد بالشيء نفسه، أو بهذا المفهوم لا يتحدد السياق في إطار بعينه، فسياق النمط اللغوي أو النص يعد بالشيء نفسه، أو بهذا المفهوم لا يتحدد لسياق في إطار بعينه، فسياق النمط اللغوي أو النص يعد نمطا داخل في سياق أكبر، والنص نفسه يعد سياقا للوحدات الأصغر(الجمل والتراكيب التي وردت فيها)[2].

مفهوم السّياق القرآني:

يمكن تحديد معنى السياق القرآن من خلال كلام الطبري في ترجيح قول من الأقوال في تفسيره حين قال : إنّما اخترنا ما اخترنا من التأويل، طلب اتساق الكلام على نظام من معنى"[3].

فالسياق القرآني يقوم على تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود دون انقطاع أو انفصال .

دلالة السياق:

السياق يحدد دلالة الكلمة على وجه الدّقة وبوساطة تتجاوز كلمات اللغة حدودها الدلالية المعجمية المألوفة تنغرز دلالات جديدة، قد تكون مجازية، أو إضافية أو إيحائية... والبحث عن دلالة الكلمة لابد أن يجري من خلال التركيب والسياق الذي ترد فيه حيث ترتبط الكلمة بغيرها من الكلمات مما يمنح كلا منها قيمة تعبيرية جديدة؛ لأنّ الكلمات في الواقع ليست لها معاني محددة، إنّما استعمالات"[4] .

---

[1]– عيد بليغ، السّياق وتوجيه دلالة النص (مقدمة في نظرية البلاغة البنيوية) بلرنسية للنشر والتوزيع، ط1، 1429هـ، 2008م، ص126.

[2]– المرجع نفسه: ص127.

[3]– الطبري محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ، 2000م، ص316.

[4]– هادي نهر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 1429هـ، 2008م، ص193.

لهذا يؤكد الدلاليون ضرورة البحث عن دلالة الكلمة داخل السياق لأن معنى الكلمة هو مجمل السياقات التي يمكن أن تنتمي إليها، قال الزركشي –رحمه الله–: "دلالة السياق أنكرها بعضهم ... وقال بعضهم: أنها متفق عليها في مجاري كلام الله تعالى"[1].

وقال صاحب دلالة السياق القرآني: يمكن تعريف دلالة السياق بأنها: فهم النص بمراعات ما قبله وما بعده، ويمكن تعريفها في التفسير: بأنها بيان اللفظ أو الجملة في الآية، بما لا يخرجها عن السياق واللاحق"[2].

لقد اهتم العرب منذ القدم بالسياق رغم أنهم لم يولوه الأهمية الكبرى التي يتمتع بها في الوقت الحاضر ولم يحددوا المصطلح، فأطلقوا عليه تارة "المقام" و"الحال" تارة أخرى ولكن السياق متجذر في تراثنا العربي عند البلاغيين والنحويين والمفسرين والأصليين ولي الغرب هو الذي عرفنا به بيد أن الغربيين قد نظموه في إطار نظرية متكاملة المعالم، أما المحدثون العرب فقد تولد اهتمامهم بدراسة السياق بتأثير واضح من نظرية "فريث" السياقية لأنهم تلقوا هذا العلم بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

أثر السياق:

الأثر اصطلاحا: قال الجرجاني: (الأثر له ثلاثة معان الأول: بمعنى النتيجة وهو الحاصل من الشيء والثاني بمعنى العلامة، والثالث بمعنى الجزء)[3].

وقال المناوي: "(الأثر ما يدل على وجود الشيء والنتيجة)[4].

أي الأثر في الاصطلاح له عدّة معان واستعمالات بحسب العلم الذي هو داخل فيه، فله في علم الحديث استعمال، وله في علم التفسير استعمال وكذلك له في علم الأصول استعمال خاص أيضا.

---

[1]– بدر الدين الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق: عامر الأشقر، وزارة الشؤون الإسلامية، الكويت، ط2، 1413هـ، ص357.

[2]– عبد الحكيم بن عبد الله القاسم، دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير بن جرير، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية السعودية، 1420هـ، ص62.

[3]– علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ط1، 816هـ، 1413م، ص11.

[4]– عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تح: عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1410هـ، 1990م، ص38.

وإذا أردنا الحديث عن أثر السياق فقد اهتم النقاد والدلاليون والأسلوبيون بالسياق من وجهات نظر مختلفة مؤكدين جميعا على أن له علاقة وطيدة بفهم النصوص سواء في ذلك ما تعلق بالسياق النصي أو السياق الخارجي، والنص القرآني واحد من هذه النصوص التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالسياق، فمن ناحية السياق النصي تؤكد أنه لا يمكن فهم مقاصد القرآن دون اللجوء إلى كشف القرائن والسياقات النصية التي ارتبط بها المقام لكشف المعنى المقصود، وهذه القرائن تؤدي وظيفة المرشد للتعامل مع هذا الخطاب، رغم ذلك فإنه يجب على المتلقي أن يحمل المعنى الظاهر للكلام على أه يمثل قصد المتكلم ما لم تدل عليه قرينة لفظية أو معنوية، وإن تعرض المعنى الحقيقي للكلام مع المعنى الذي تقتضيه وجب على المتلقي أن يلجأ إلى تأويلها على المعنى الذي تقتضيه بحيث يتعامل مع هذه النصوص تعاملا كليا بناء على سياقاتها الداخلية، دون فصلها عن السياق الخارجي والذي يشير في النص القرآني إلى أهمية أسباب النزول في فهم مقاصده، وكذلك بناء على طريقة العرب في التفكير وعاداتهم وشؤونهم وغير ذلك قصد تجنب الأخطاء التي قد يقع فيها الفهم الذي يهمل السياق سواء الفهم المؤسس على آية أو السورة بأكملها، كما أن القرآن الكريم من جهة أخرى، رغم صلته بالواقع الذي نزل فيه إلا أننا نجده هو الذي يهيمن على هذا الواقع ويتحكم فيه.

دور السّياق في فهم النص القرآني:

إنّ السّياق يفسر الكثير من العمليات المصاحبة لأداء اللغة وظيفتها التواصلية والبلاغية عند كل من المتكلم والمتلقي وأنه ركن أساسي في فهم الرسالة اللغوية، فالسياق في اللغة لفظ ذو تشكلات عديدة، وفي اللسان يأتي بمعنى المتابعة، فدرس "أوشن" استخراج السياق من خلال البنى المختلفة للرسالة اللغوية، واهتم علم الدلالة بالمعنى السياقي، وهو المعنى الذي يستخرجه المتلقي من الكلام استنادا إلى السياق، كما أبرز الأسلوبين علاقة الأسلوب بمقتضيات السياق المقامي، وقد عد النقاد السياق دعامة رئيسية في تحليل النص الأدبي، كما فعل "ميخائيل بانشين" و" نور تروب فراي وغيرهم"[1].

ومن هنا يمكننا الحديث عن علاقة النص بالسياق، ذلك أن المرسل يستطيع أن يعبر عن قصدة وفق شكل اللغة الدلالي مباشرة بما يتطابق مع معنى الخطاب ظاهريا، وقد يعدل

[1]– خلود العموش، الخطاب القرآني، ص26.

عن ذلك فيلمع بالقصد عبر مفهوم الخطاب المناسب للسياق، لينتج عنه دلالة يستلزمها الخطاب، ويفهمها المتلقي، وهذا يؤدي إلى نتيجة مهمة وهي مركزية السياق في منح الخطاب دلالته للتعبير عن القصد مما يعني أن الخطاب معنى مباشر له قوة إنجازية حرفية تدل عليه ألفاظه وحسب ما يتم التواضع عليه في اللغة، غير أنه قد يمنح السياق لخطاب أكثر من قصد. "فلم يعد الإخبار هو القصد الوحيد عند المرسل وإن عددناه واحد من مقاصده، فليس القصد الرئيسي إذ يتنبئ وراءه قصد آخر، اختار المرسل الاستراتيجية التلميحية للدلالة عليه، وهو إما الرفض أو التهكم، ولذلك لم يستعمل المرسل الخطاب المباشر"[1].

وفي محاولة ربط النص القرآني بالسياق الذي يعد شيئا مهما في المقاصد التي يصبو القرآن الكريم إلى تحقيقها لجنا إلى تقسيم هذا السياق إلى قسمين أساسيين، بناء على تدبر مختلف الاستراتيجيات التي تهدف في النهاية إلى إيصال المقاصد إلى المتلقي ليفهمها.

الفرق بين النص والخطاب:

لابد لكل بحث من ضبط المجال الذي يدور فيه، والمفاهيم العاملة التي يعتمد عليها فيتقبل بذلك موقعه من الدراسات والاختصاصات المتنوعة والمتداخلة بحيث يتمكن الملتقي – جراء ذلك– من ضبط المفاتيح التي تسمح له بالولوج في البحث، وهي مفاتيح قائمة على تلك المفاهيم بطبيعة الحال، حيث سنحاول حصر ما رأيناه للمس بالموضوع من قريب أو بعيد.

مفهوم النص لغة:

يرتكز عمل اللساني النصي على النص أساسا فما هو النص؟

لقد تعددت مفاهيم النص تبعد بالمفكرين والنقاد المنظرين له، وفي هذا البحث سنعرض بعض المفاهيم على سبيل المثال لا الحصر.

[1]– عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص368.

ورد في معجم لسان العرب النص: "يقال في اللغة نص الشيء رفعه وأظهره، وفلان نص أي استقصى مسألته عن الشيء حتى استخرج ما عنده، ونص الحديث ينصه نصا؛ إذا رفعه ونص كل شيء منتهاه"[1].

في هذا التعريف لم يخرج النص عن كونه يدل على معنى الرفع والظهور أو النهاية.

وجاء أيضا مفهوم النص في معجم التعريفات ومنه:

النص القرآني ونص السنة أي ما دل ظاهر اللفظ عليه من الأحكام، فهو اللفظ الدال على معنى لا يحتمل غيره، "فالنص ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى في المتكلم وهو سوق الكلم لأجل ذلك المعنى والنص مالا يحتمل إلا معنى واحدا وقيل مالا يحتمل التأويل"[2].

مفهوم النص:

يعرفه لويس يلمسليف بأنه: "ملفوظ كيفما كان، منطوقا أو مكتوبا طويلا أو قصيرا، قديما أو حديثا"[3].

وعرفه روجر فاولر النص بأنه عبارة عن: "البنية السطحية الخطية الأكثر إدراكا ومعاينة والمراد بالبنية السطحية في هذا المنظور المتوالية من الجمل المترابطة فيما بينها على نحو ليشكل استمرارا وانسجاما على صعيد تلك المتوالية"[4].

أما هاليداي ذهب إلى أن النص " وحدة لغوية في طور الاستعمال وما يعنيه هذا الباحث بالوحدة اللغوية هنا ليس الوحدة النحوية التي أساسها الجملة أو شبه الجملة وإنما يعني بها الوحدة الدلالية التي قد يكون أساسها الكلمة أو الجملة أو العمل الأدبي بأكمله"[5].

ويحدد دولوجراند النص بأنه يجعل لعمل إنساني ينوي له شخص نصا ويوجه السامعين له إلى أن يبنوا عليه علاقات من أنواع مختلفة[6].

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص42، 43.

[2]– الجرجاني، التعريفات، دار الكتاب اللبناني المصري، بيروت، القاهرة، ط1، 1991، ص251.

[3]– أحمد مداس، لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، جدار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان ، ط2، 2009م، ص10.

[4]– عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص، المفهوم، العلاقة، السلطة، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2008م، ص107.

[5]– المرجع نفسه، ص109.

[6]– أحمد مداس، لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، ص13.

نلاحظ من خلال هذه التعريفات أن النص مهما كان تشكله يشترط وحدة الاكتمال دلاليا، يشمل التواصل وعناصره وانتقال النص من بنيته الداخلية إلى البنية الخارجية، وفي ذلك توسيع النص ليشمل الملفوظ من حيث هو خطاب والمكتوب من حيث هو نص.

أما كريستيفا: "النص الأدبي خطاب يخترق حاليا وجهة العلم والإيديولوجيا والسياسية"[1].

وحتى لا يطول بنا الحديث في مفهوم النص سنلج إلى مفهوم الخطاب.

مفهوم الخطاب:

أ- لغة:

خطب، الخطب: الشأن أو الأمر، صغر أو عظم وقيل: هو سبب الأمر، يقال ما خطبكما؟ وتقول: هذا خطب جليل وخطب يسير والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والحال ومنه قولهم: جل الخطل أي عظم الأمر والشأن[2].

كما يعرفه صاحب القاموس المحيط: كالآتي: الخطب: الشأن والأمر صغر أو عظم، خطوب، ج خطب، الخاطب على المنبر خطابة، بالفتح، وخطبة، بالضم وذلك الكلام أيضا أو هي الكلام المنثور المسجع ونحوه، ورجل خطيب: حسن الخطبة"[3].

من خلال هذين التعريفين نستنتج أن الخطاب هو الأمر الذ=ي تقع فيه المخاطبة وبعد الحديث عن التعريف اللغوي سنذكر بعض الآيات القرآنية جاء فيها مصطلح الخطاب.

قال الله تعالى: ﴿ **وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ** ﴾ [ص/20] .

المراد بالخطاب هنا هو التفقه.

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ** ﴾ [ص /23] .

من خلال هذه الآية الكريمة تدل كلمة على الغلبة لأحد الطرفين.

---

[1]- أحمد مداس، لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، ص13.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، ج4، مادة خطب ص136.

[3]- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار الإحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ، ط2 ،2002، ج1ص158 .

ب- اصطلاحا:

ظهر مصطلح الخطاب في الثقافة العربية والغربية في مواضع متعددة فتعدد تعريفاته ومن الصعب الإلمام بها، وبالتالي سنأخذ بعضا منها من الثقافتين إذ عرفه بدر الدين الزركشي: "الخطاب بأنه الكلام المقصود منه إفهام من هو متهيء للفهم، فليس الخطاب إذا كلاما سالبا، وإنما هو كلام له مقصدية وهو يقتضي اللفظية أو التلفظية؛ أي أن يكون كلاما جاريا بين الطرفين ويقتضي التواضع والتعاقد بينهما"[1].

ويقصد من هذا التعريف أن الخطاب هو توجه الكلام إلى غير القصد إفهامه. ويأتي تعريف عبد السلام المسري للخطاب بأنه: "خلق لغة من لغة يستوجب الاعتقاد بوجود لغة ذات انسجام نوعي، وعلاقات تربط أجزاءها داخل النظام اللغوي العام متقاربا مع غيره من الباحثين غير معتد لا بملفوظه ولا بمكتوبه"[2].

معناه أن الخطاب متعلق بالمتكلم ويكشف مميزاته للمتلقي.

وفي موضع آخر عرف إميل بنفنست الخطاب بأنه: "الملفوظ منظور إليه من وجهة آليات وعمليات أشغاله في التواصل وبمعنى آخر هو كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما"[3].

أما ميخائيل باختين: نظر للخطاب بوصفه: "تلفظ يمكن وصفه حسب توردوف بأنه عبارة عن حدث اجتماعي، وليس حدث فردي، وهو حدث اجتماعي لأن الذات المتلفظة وإن بدا عليها أنها مأخوذة من الداخل، إلا أنها تعد بصورة كلية نتاجا لعلاقات متداخلة"[4].

انطلاقا من التعريفين السابقين يمكن وصف الخطاب بأنه فعل التلفظ من طرف متكلم، يصوغ خطابه وفق نظام ما، قصد التأثير في طرف ما ألا وهو المستمع.

---

[1]- مجلة الخطاب، دورة أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات، البحوث العلمية في اللغة والأدب منشورات محبر التحليل، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، العدد 08، ص168.

[2]- أحمد مداس، لسانيات النص، ص19.

[3]- إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي، دراسة تطبيقية، دار الآفاق، الجزائر، ط1، 1999م، ص10.

[4]- عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص، ص99.

الفرق بين النص والخطاب:

يرى محمد مفتاح في النص مدونة كلامية وحدثا توصليا، تفاعليا مغلقا في سمته الكتابية تواليا في انبثاقه وتناسله، ليوافق براون ويول في تعريفهما للنص إذ هو مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة، وهو جمع صريح بين وكلاهما يرتكز على الوظائف والتواصل[1].

يرى محمد عابد الجابري: أن النص والخطاب مفهوما واحدا إذ يقول: "النص رسالة من الكاتب إلى القارئ، فهو خطاب، فالاتصال بين الكاتب والقارئ إنما يتم عبر النص.

والخطاب باعتباره مقول الكاتب – أو أقاويله بتعبير الفلاسفة العرب القدامى، هو بناء من الأفكار"[2].

في حين يميز فان دايك تمييزا دقيقا بين النص والخطاب إذ يرى: "الخطاب هو عملية الإنتاج الشفوية ونتيجتها الملموسة، أما النص فهو مجموعة البنيات الآلية التي تحكم هذا الخطاب وبتعبير آخر فإن الخطاب ملفوظ أو تلفظ ذو طبيعة شفوية لها خصائص نصية بينما النص هو الشيء المجرد والافتراضي عن لغتنا العلمية..."[3].

وفي سياق الحديث عن الفروقات ين النص والخطاب يقتضي الإشارة إلى سعيد يقطين، ولقد جرى اشتغاله على النصوص السردية في تتبع أثر النص والخطاب على مسح التوافقات والتعارضات بين المصطلحين مع طوائف عدة من الباحثين ليستخلص أن: "الخطاب مظهر نحوي، يتم بواسطة إرسال القصة وأن النص مظهر دلالي يتم من خلاله إنتاج المعنى من لدن المتلقي، في الخطاب تقف عند حدود الراوي والمروي له، وفي النص نتجاوز ذلك إلى الكاتب والقارئ"[4].

صفوة القول ومن خلال ما تم ذكره فإن التمييز بين النص والخطاب يطرح إشكالا كبيرا لتعدد الآراء واختلافهما وكثرة التصورات وتضاربهما وارتأينا في الأخير أن نوجز الفروق بينهما باختصار وبإيجاز:

---

[1]– أحمد مداس، لسانيات النص، ص12.

[2]– محمد عابر الجابري، الخطاب العربي المعاصر (دراسة تحليلية نقدية)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2001م، ص10.

[3]– قادري عليمة، التداولية وصيغ الخطاب من اللغة الى الفعل التواصلي، الملتقى الدولي الخامس "السيمياء والنص الأدبي" 17 و18 نوفمبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص600.

[4]– أحمد مداس، لسانيات النص، ص18.

* النص رسالة مكتوبة.
* النص رسالة شفوية.
* النص موجه إلى متلق غائب.
* الخطاب موجه إلى متلق حاضر.
* النص يتميز بديمومة الكتابة.
* الخطاب مرتبط باللحظة الإنتاجية.
* النص مفتوح على سياقات مختلفة.
* الخطاب ينطوي داخل مقام محدد.

الفصل الأول:

السياق: الماهية والمفهوم والأقسام

الفصل الأول: السّياق، الماهية والمفهوم والأقسام

المبحث الأول: السّياق في التراث العربي.

المطلب الأول: السّياق عند العرب القدامى:

إذا أردنا استخلاص موقف علماءنا القدامى من السياق ودوره في بيان الدلالة فلابد لنا من النظر في وجهات النظر المتعددة لهؤلاء العلماء بتعدد مكتسباتهم المعرفية واهتماماتهم، التي تلتقي في مصب واحد، هذا يؤكد على اهتداء هؤلاء العلماء إلى السياق وأهميته في تحديد الدلالة المقصودة ويمكن تأكيد هذا من خلال لفت النظر إلى دور كل فريق من العلماء العرب في دراسة السياق على وقف اهتمام كل فريق منهم وتخصصه العلمي والمعرفي على النحو التالي:

أولا: عند المفسرين: حيث يقول السيوطي: "التفسير هو كشف معاني القرآن وبيان المراد منه، سواء كانت معاني اغوية، أو شرعية بالوضع أم بقرائن الأحوال ومعرفة المقام"[1].

فلا يمكن التوصل إلى مقاصد النص القرآني وبيان دلالته إلا بالوقوف على ملابسته وقرائنه واستحضار سياقاته المختلفة أثناء التفسير، قال ابن دقيق العيد: "أما السياق والقرائن، فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه"[2] وإهماله أثناء العملية التفسيرية يورث الغلط والانحراف.

ومن تدبر القرآن وتدبر ما قبل الآية وما بعدها وعرف المقصود القرآن تبين له المراد، وعرف الهدى والرسالة وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج، وأما تفسيره بمجرد ما يحتمله اللفظ المجرد عن سائر ما يبين معناه، فهذا منشأ الغلط منه الغالطين، ولا سيما ممن يتكلم فيه بالاحتمالات اللغوية"[3].

ولقد وضع المفسرون القدامى شروط صادقة لمن أراد أن ينتظم هذا العلم الجليل، وأكثر هذه الشروط يصب في السياق والمقام وما يحيط بالنص القرآني من ظروف وملابسات لابد للمفسر من الوعي بها قبل مباشرته تفسير النص القرآني واشترطوا على من

---

[1]– السيوطي جلال الدين، التحبير في علم التفسير، تح: فتحي عبد القادر فريد، دار العلوم السعودية، الرياض، ط1، 1402خ، 1982م، ص38.

[2]– ابن دقيق العيد، أحكام الأحكام شرع عمدة الأحكام، تح: مصطفى شيخ مصطفى ومدثر سندس، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط1، 1426هـ، 2005م، ج2، ص225.

[3]– ابن تيمية تقي الدين، مجموع الفتاوى، تح: أنوار الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، ط3، 126هـ، 2005م، ص94.

يتصدى لتفسير أي ذكر حكيم جملة من الشروط التي تؤكد وعيهم على مستوى سياق الحال اشترطوا المعرفة بأسباب النزول والأحداث والوقائع الملابسة لنزول الآية[1].

فعدم الوعي بأسباب النزول يؤدي إلى عدم فهم المعنى المراد من الآية المعينة ومن أمثلة ذلك ما ورد في التحرير والتنوير عند تفسير آيات الذكر الحكيم من سورة البقرة.

وهي قوله عز وجل: ﴿ **وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [البقرة /189] .

حيث أورد سبب نزولها فقال: "ومناسبة التي قبلها إن سبب نزولها كان مواكبا أو مقاربا بالسبب نزول الآية التي قبلها وإن مضمون كلتا الجملتين كان مثار تردد واشتكال عليهم من شأنه أن يسأل عنه..."[2].

وكذلك جاء عند ابن كثير في تفسير الآية: ﴿ **إِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ** ﴾ [النحل/ 126] .

قال محمد بن إسحاق عن بعض أصحابه عند إعطاء بن يسار قال: نزلت سورة النحل كلها بمكة وهي مكية إلا ثلاث آيات من آخرها نزلت بالمدينة حيث قتل حمزة رضي الله عنه ومثل به، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: لئن أظهرني الله عليهم لأمثلن بهم مثله بمثلها أحد من العرب بأحد قط، فأنزل الله الآيات إلى أخر السورة...[3].

وقد عول المفسرون على أسباب النزول كثيرا لتفسير الآيات ونجد الكثير منهم ألف مصنفات بهذا العنوان ك" الواحدي" (468هـ)، و"ابن بند" (852هـ) و"السيوطي" (911هـ) وغيرهم.

" فمعرفة أسباب النزول لآيات وسورة القرآن الكريم أمر عظيم الأهمية جليل الخطر، كما أنه يحل القول في أسباب نزول القرآن إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على أسبابه واتفقوا وبحثوا عن علمها"[4].

---

[1]– هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص269.

[2]– ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، د ط، 1984، ج2، ص197.

[3]– اسماعيل بن عمرو بن كثير، تفسير القرآن الكريم، دار الكتابة الحديث، الجزائر، دط، 2010، ج2، ص1162.

[4]– علي بن أحمد الواحد النيسابوري، أسباب النزول، تح: السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، دط، د ت، ص09.

ولقد قال الزركشي (ت 794هـ): "اعلم أن المناسبة على شريف تحرز به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول... قيل المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول"[1].

من أقوال المفسرين عن السياق: يجب علينا إذا نقل مواقف المفسرين وعلماء القرآن أنفسهم من السياق يتوضح لنا إدراكهم لهذا الأصل في وقت مبكر قبل تبلور النظرية السياقية في الغرب.

قال ابن جذي: عند كلامه عن المرجحات الدلالية: "أن يشهد بصحة القول سياق الكلام، ويدل عليه ما قبله أو ما بعده"[2].

قال الزركشي: متكلما عن القرآن "وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق"[3].

قال محمد رشيد رضا: "وقد قالوا أن القرآن يفسر بعضه ببعض وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقة لما سبق له من قول واتفاقه مع جملة المعنى واتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته"[4].

الاختلاف في التفسير: إن تناول المفسرين للقرآن من الناحيتين اللغوية والدلالية أفضى إلى الاهتمام بتحليل النص (الآية، السورة، السور) تحليلا نصيا يعتمد المعطيات اللغوية من تركيبة (صوتية، صرفية، نحوية) ودلالية لفظية وتركيبية أسلوبية (معاني وبيان)، وهذا التحليل بدوره "أفضى إلى نمط من التحليل وتخطى به نصوص غير القرآن، ولابد من الإشارة إلى تأكيد المفسرين على أهمية السياق معولا عليه في فهم القرآن وأنه ضروري في التفسير مع التفضيل الواضح في مكونات السياق، ولقد تطرق ابن تيمية للخلاف في تفسير القرآن، فذكر أن الخلاف نوعين بدأهما في فصل في قوله: "الاختلاف في التفسير على

---

[1]– الزركشي، البرهان في علم القرآن، تح: محمد أبو الفصل، مكتبة دار التراث، دط، د ت، ص35.

[2]– ابن جزي الكلبي التسهيل لعلوم التنزيل، ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم دار الكتاب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1415هـ، 1995م، ص13.

[3]– الزركشي، البرهان في علم القرآن، ص172.

[4]– محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الكريم (التشهيد، تفسير، المنار) دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، ط2، 1417هـ، 1997م، ج1، ص22.

نوعين: منه ما مستندة النقل، ومنه ما يعلم بغير ذلك إذ العلم أنها تقال مصدق، أو استدلال محقق...[1].

ثانيا: السياق عند البلاغيين والنقاد والأدباء:

لقد وضح تمام الوضوح موقف البلاغيين والأدباء والنقاد العرب القدامى من السياق فيما قدموه من دراسات تطبيقية لضروب الكلام ونصوصه الإبداعية فحديثهم في نظم الكلام وأسرار تأليفه وأساليبه المتنوعة وإمكانات اللغة وقدرتها على التعبير وغير ذلك مما تناوله البلاغيون والأدباء والنقاد باستفاضة وعمق دليل على وعيهم السياق اللغوي ودوره في بيان الدلالة فهم أولى الناس بالسياق حيث اهتموا بأحوال المتكلم والسامع، وقد أفردوا للمعاني علما خاصا من علوم البلاغة ولقد دعا البلاغيون القدامى كثيرا لمقولة: "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"[2]

وقولهم "أن لكل مقام مقال" فمقتضى الحال هو السياق غير اللغوي أي الحالي بينما المقال هو السياق اللغوي فهذا شيخ البلاغيين الجاحظ (ت225هـ)، ويقول: "فإذا كان المعنى واللفظ بليغا، وكان صحيح الطبع، بعيدا من الاستكراه ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد...[3].

ونجد أيضا عبد القادر الجرجاني (ت147هـ) في معرض كلامه عن المعنى وتبيان أهميته ويرى أن نظم الألفاظ يجب أن يتلاءم والمعاني وبعد كلام طويل أتى فيه بأقوال السابقين له فقال: "وجملة الأمر أنه كما لا تكون الفضة أو الذهب خاتما أو سوارا، أو غيرهما من أصناف الحلي أنفسهما ولكن بما يحدث فيهما من الصورة كذلك لا تكون الكلمة المفردة التي هي أسماء وأفعال وحروف كلاما أو شعرا من غير أن يحدث فيها النظم الذ=ي حقيقته توحي معاني النحو وأحكامه"[4].

---

[1]– ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1423هـ، ص98.

[2]– الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م، ص83.

[3]– المرجع نفسه، ص138.

[4]– الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، شركة القدس، ط1، 1992م، ص488.

وكما استعمل البلاغيون لأهم نوع من أنواع السياق والذي يظهر جليا في فكرة المقام كما ذكرنا آنفا فهي مهيمنة على التفكير البلاغي، ومنسجمة أشد الانسجام مع الواقع اللساني لدراسات النصية الحديثة القائمة على النظرية السياقية، ويظهر واضحا عند سعيهم إلى اكتشاف الجوانب الدلالية والخصائص الجمالية الفنية الملازمة لنصوص النوعية كالقرآن والشعر والنثر البليغ من خلال التركيز على المحاكاة والمقام.

قال تمام حسان: "أجد لفظ المقام أصبح ما أعيد به عما أفهمه من المصطلح الحديث سياق الحال الذي يستعمل اللسانين المحدثون[1].

فالعلوي من أهم علماء اللغة العربية وقد أبدع كثيرا في علم البلاغة، وما ساعده على الوصول لتلك المرتبة المتميزة كونه متأخر عن جباهذة اللغة، فجمع آرائهم وحاول صقلهم والخروج بنتائج مميزة وأقرب إلى الصواب وقد نجح في ذلك إلى أبعد الحدود فها هو في الموضوع يتحدث بكل موضوعية عن السياق وأهميته في توضيح المعنى بل ويضع مطابقة الكلام لسياقه الذي ورد فيه شرطا أساسيا للكلام، ويرى أن الكلام لا يستوي إلا هذا الشرط، واعتبر مطابقة الفرض المقصود من الكلام على اختلاف أنواعه وتباين فقنونه فلابد أن يكون موافقا لما أريد به بعد اختصاصه بالتركيب وهو غرض عظيم لابد من رعايته ونظيره في العقد فإنه بعد إحكامه وتركيبه وإتقان تأليفه لابد من مطابقته لها ضيع له...[2].

ونجد الخطيب القزويني (ت788هـ) يبين أنواع المقامات وفي نفس الوقت يجعل الحال والمقام مترادفين فيقول: "أن لمقامات الحال متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام خلافه... وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام...[3].

---

[1]– تمام حسان: الأصول دراسة أبستمولوجيا في الفكر اللغوي العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، القاهرة، دط، 1982م، ص20.

[2]– يحيى بن حمزة العلوي، الطراز، تح: عبد المجيد هنداوي، المكتبة المصرية صيدا، لبنان، ط1، 2002م، ج1، ص66.

[3]– الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، وضح حواشيه، إبراهيم شمس الدين، دار المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص20.

ثالثا: السياق عند اللغويين والنحويين:

لقد اهتم اللغويين بالسياق وأولوه عناية وتكلموا فيه طويلا منذ بداية جمع اللغة، والتعقيد لها، فنجد أبو عامر بن العلاء يقر بذلك عندما سئل: "أكانت العرب تطيل؟ فقال: نعم لتبلغ ثم قيل له: أفكانت تجوز؟ فقال: نعم ليحفظ عنها"[1].

أي أن العرب كانوا إذا تكلموا يهتمون بالسياق الذي يتحدثون فيه، فإذا كان المراد من الحديث التبليغ وإذا كان هدفهم حفظ السامع بما يقال أوجزوا لتسهيل العملية عليه.

ونجد سيبويه (ت108هـ) في حديثه عن التقديم والتأخير" ... إلا أنك إذا أردت الإلغاء فكلما أخرت الذي تلفيه وكان أحسن وإذا أردت أن يكون مستقرا تكتفي به فكلما قدمته كان أحسن، لأنه إذا كان عاملا في شيء قدمته كما تقدم أظن وأحسب، وإذا ألغيت أخرته كما تؤخرهما لأنهما ليس يعملان شيئا"[2].

ويروي سيبويه أن ترتيب الجمل يتغير حسب المراد من الكلام لأن التركيب يتوافق مع الواقع "فالتركيب اللغوي الصحيح نحويا ليس بالضرورة أن يقود إلى معنى صحيح دائما بل يقود إلى الالتباس".

ونجد "الأنباري" (ت328هـ) يؤكد على أهمية السياق ويتجلى هذا في قوله: "أن كلام العرب يصحح بعضه بعضا ويرتبط أوله بآخره ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين، لأنه يتقدمهما ويأتي بعدها..."[3].

ولا يمكننا الكلام على اللغويين دون أن تعرج على أحد أعمدة اللغة العربية وشيوخها" ابن جني (ت394هـ) الذي قعد للغة وكان له دور كبير في الدفاع عنها ونجد هذا في قوله: "فكان العرب إنما تحلى ألفاظها وتجددها وتزخرفها عناية بالمعاني التي وراءها وتوصلا بها إلى إدراك مطالبها"[4] فتوصل إلى نتيجة مفادها أن "الألفاظ خدم للمعاني".

---

[1]– محمد أحمد خضير، التركيب والدلالة والسياق، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، القاهرة، دط، 2008م، ص144.

[2]– سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1979م، ص22.

[3]– محمد بن قاسم الأنباري، كتاب الأضداد، تح: محمد أبو الفضل لإبراهيم، المكتبة المصرية، بيروت، لبنان، دط، 1987م، ص02.

[4]– أبو الفتح ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، د ط، د ت، ج1، ص220.

وقد أشار "ابن جني" إلى أهمية السياق اللغوي الذي يرد في الكلام فيقول: "القول لا يتم معناه إلا بغيره؛ ألا ترى أنك إذا قلت: قام وأخليبته من ضمير فإنه لا يتم معناه الذي وضع له في الكلام عليه وله..." فيقوله: "قد لا يتم معناه".

من هنا نفهم أن هناك إمكانية لفهم المعنى دون الحاجة إلى غيره أي من خلال ما يحيط بالكلام من ملابسات فهذا ما يسمى بالسياق غير اللغوي.

ويمكننا رصد توظيف "السياق اللغوي" في المجال النحوي في بعض المسائل نلخصها كالتالي:

برر النحاة حذف ألف بالاعتماد على السياق اللغوي قال "سيبويه" "وأعلم أن هذه الألفاظ، إذا كان قبلها كلام حذفته، لأن الكلام قد جاء قبله ما يستغني به عن الألف، كما حذفت الهاء حين قلت ع يا فتى فجاء بعدها كلام، وذلك قولك: يا زيد اضرب عمرا يا زيد اقتل واستخرج، وكذلك جميع ما كانت آلفة موصولة"[1].

تتحدد بالسياق اللغوي دلالة حروف المعاني مثل "إن" والتي ترد على أربعة أوجه فهي إما شرطية، أو نافية مخففة من الثقيلة أو زائدة[2]، فإن نفقت أهملت ووجب دخول اللام الفارقة لرفع الالتباس وقد يرفع الالتباس بالسياق نحو قول الشاعر:

ونحن أباة الضيم من آل مالك وإن مالك كانت كرام المعادن[3].

فقوله نحت أباة الضيم فخر ومدح، فلا يعقل أن تكون "إن" بعدها تنفي كرم المعدن، وقد يكون سياق الكلام مبررا للخروج عن الأصل، ومثاله جواز نصب النكرة المقصودة في النداء بدل بنائها على الضم كما تقرره القاعدة، وهذا راجع للوضع السّياقي الذي أقامه مقام المضاف نحو قول الشاعر:

لعلك يا تيسا نزا في مريره معذب ليلى أن تراني أزورها[4].

---

[1]– سيبويه، الكتاب، ج4، ص146.

[2]– ابن هشام الأنصاري، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، لبنان، بيروت، ط6، 1985م، ص34.

[3]– الطرماح بن حكيم، ديوان الطرماح، تح: عزة حسن، دار الشرق العربي لبنان، بيروت، ط2، 1414هـ، 1994م، ص280.

[4]– البيت لتوبة بن الحمير ، سيبويه، الكتاب، ج2، ص200 .

وعن سبب جر (نار) من قول الشاعر:

أكل إمرئ تحسبين إمرأ ونار توقد بالليل نارا[1].

قال سيبويه: فاستغيث عن تثنية كل لذكرك إياه في أول الكلام ولقلة إلتباسه على المخاطب"[2]، أي بتقدير (وكل نار) وهذا صريح في اعتماد القرينة السياقية في تعليل الجر.

وفي باب الحذف استعانوا بالسابق من السياق في تبريره نحول قول الشاعر:

ديار مية إذ هي مساعفة ولا يرى مثلها عجم ولا عرب.

كأنه قال: اذكر ديار مية، ولكنه لا يذكر أذكر، لكثرة ذلك في كلامهم واستعمالهم إياه، ولما كان فيه من ذكر الديار قبل ذلك[3].

رابعا: تجليات السياق عند الأصوليين: لما كان الأصوليون من أشد علماء الشريعة حرصا على الوصول إلى الأدلة الشرعية للأحكام الفقهية، فقد اهتموا بالسياق اهتماما بالغا، كونه وسيلة للكشف عن المعنى.

فالشافعي يشير إلى أحد نوعي السياق وهو سياق النص وابن لم يسميه بالمصطلح المعروف في عصرنا حين يقول: "ونبتدئ (أي العرب) الشيء من كلامهما يبين آخر لفظها منه عن أوله"[4].

أما الغزالي فيعرف أصول الفقه بقوله "وعبارة عن أدلة هذه الأحكام وعن معرفة وجود دلالتها على الأحكام من حيث الجملة لا من حيث التفصيل"[5].

ويمكن تلخيص أقوال الأصوليين عن السياق كالتالي:

قال إمام الحرمين: "...فإن المعاني يتعلق معظمها بفهم النظم والسياق"[6].

قال العزيز عبد السلام: "السياق مرشد إلى تبين المجملات وترجيح المحتملات وتقرير الواضحات، وكل ذلك بعرف الاستعمال، فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت

---

[1]– البيت من بحر المتقارب، نسبة المبرد الى عدي بن زيد، المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3، ص75.

[2]– سيبويه، الكتاب، ص66.

[3]– ذو الرملة غيلان، ديوان دي الرمة، شرح ابي النصر أحمد حاتم الباهلي، صاحب الأصمعي، الرواية: ابي العباس ثعلب، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح.

[4]– الشافعي، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، دار التراث، لقاهرة، ط2، 1939، ص52.

[5]– الغزالي، المستصفى في علم الأصول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1403هـ، ج1، ص05.

[6]– الجويني أبو المعالي، البرهان في أصول الفقه، تح: عبد العظيم محمود الديب، دار الوفاء، مصر، المنصورة، ط2، 1413هـ، ص870.

مدحا، وكل صفة وقعت في سياق الذم صارت ذما، واستهزاء وتهكما بعرف الاستعمال، مثاله قوله تعالى: "ذق إنك أنت العزيز الكريم" [سورة الدخان / 29].

أي الدليل المهان لوقوع ذلك في سياق الذم، وكذلك قول قوم شعيب: ﴿**إنك لأنت الحكيم الرشيد**﴾ [سورة هود / 87] .

أي السفيه الجاهل لوقوع سياق الإنكار عليه[1].

وقال أبو إسحاق الشاطبي: "كلام العرب على الإطلاق لابد فيه من اعتبار المساق"[2] وقال عن السياق الحالي عند ترجيحه للأصل الاستعمالي في اللغة عن الأصل القياسي في حالة تعارضهما: "وبيان ذلك هنا أن العرب قد تطلق ألفاظ العموم بحسب ما قصدت تعميم مما يدل قد تطلق ألفاظ خاصة دون ما تدل عليه الألفاظ بحسب الوضع الإفرادي...".

وقال عن معرفة مقاصد الكلام: أنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال: حال الخطاب من جهة نفس الخطاب أو المخاطب أو الجميع إذا الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين، وبحسب مخاطبين وبحسب غير ذلك كالاستفهام لفظه واحد، ويدخله معان أخر من تقرير وتوبيخ وغير ذلك[3].

المطلب الثاني: السياق عند العرب المحدثين:

انتقل الفكر اللغوي الحديث من الغرب إلى ميدان التفكير اللغوي في العالم العربي لإثر التفاعل الفكري بين الشرق والغرب واحتلت السياق عندهم مكانة مومقة حيث أنهم عرفوا أن هناك ممن سبقهم من العرب من اهتموا بالسياق وأولوه العناية الفائقة فحاولوا تطبيق نظرية السياق واجتهدوا في ذلك من هؤلاء نذكر: أحمد مختار عمر، فايز الداية، تمام حسان، وغيرهم... الأفكار التي طرحوها لا تختلف عما جاء الغربيون به، لكن ما تميزوا به أنهم ربطوا بين الدراسات العربية القديمة والدراسات العربية الحديثة، وطبقوا هذه الأفكار على القرآن الكريم والشعر العربي وغير ذلك، حيث نجد عبد الرحمان الحاج صالح: فقد اهتم هذا البروفيسور بهذا المصطلح وأعطاه الأهمية في أبحاثه حيث يقول: "إن اللغة وضع واستعمال أي نظام واستخدام لهذا النظام فاللفظ والمعنى شيء في الوضع وشيء آخر في الاستعمال،

---

[1]– الزركلي خير الدين، الإعلام، دار العلماء الملايين، لبنان، بيروت، ط1، 1997م، ج1، ص21.

[2]– الشاطبي أبو إسحاق، الموافقات في أصول الشريعة، تح: مشهور بن حسن آل سلمان، دار بان عفان، السعودية، الرياض، ط1، 1417هـ، 1997م، ج2، ص491.

[3]– المصدر نفسه، ج4، ص146.

وبالنسبة للمعنى وقد لا يكون خاصة فإن اللفظ مدلولات تحدده المعاجم وقد لا يكون هو المقصود في نص من النصوص ولاسيما النصوص العلمية القديمة في تراثنا ولا يمكن أن يعرف ذلك بالتحقيق إذ لا توجد قواميس لكل المواصفات العلمية القديمة نصف كل ما قصده العلماء بدقة واستقامة ويحصر كل الأمثلة"[1].

فهو يقر ضمنيا أن الكلمة لا يفهم معناها ولا يتحدد دلالتها إلا من خلال السياق الذي وردت فيه.

أما محمود السعران هو أيضا يعطي أهمية كبيرة للسياق غير اللغوي أو المقامي فيقول: "سياق الحال هو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي ومن هذه العناصر: شخصية المتكلم والسامع والعوامل والظواهر الاجتماعية، أثر النص الكلامي في المشتركين..."[2].

ومنه يرى أن النص يفهم انطلاقا مما يحيط به من شخصيات المتخاطبين.

ثم نجد حسان تمام يرى أن النص لا يمكن أن يفهم تماما وبدقة خارج سياقه اللغوي أو غير اللغوي فيقول: "يعتبر النص (المقال) منطوقا كان أم مكتوبا، غير منبت عمن ساقه وسبق إليه ولو أننا حاولنا فهم المقال منفصلا عن المقام لجاء فهمنا إياه قاصرا مبتورا خاطئا...[3].

[1]– عبد الرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موقم للنشر، دط، د ت، 2007م، ص29.

[2]– محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، دط، د ت، ص311.

[3]– تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2004م، ص351.

المبحث الثاني: السياق في التراث الغربي:

إذا نظرنا إلى الغربيين نجدهم متأثرين بالسياق مثلهم مثل غيرهم، فقد احتل السياق جانبا مهما وواسعا في دراستهم، لأهميته الكبرى وقدرته الهائلة في إيضاح المعنى، فمن يتصل بالدرس اللغوي بعد أن يمر بالمعاجم العربية يدرك أن اللغويين الغربيين قد عنوا بموضوع السياق عناية كبيرة وعرفوه كمصطلح وتناول الكثير منهم ومن بين هؤلاء أعلام المدرس اللسانية الأوروبية وأعلام المدارس اللسانية الأمريكية.

المطلب الأول: مفهوم السياق في المدارس اللسانية الأوروبية:

أ- مدرسة السياق (جون روبرت فيرث وستيفن أولمان).

1- جون روبرت فيرث:

يعد فيرث رائد نظرية "المنهج السياقي" فنظريته تنظر إلى المعنى على أنه وظيفة في السياق.

لقد أكد فيرث تأكيدا كبيرا على الوظيفة الاجتماعية للغة ورأى أن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تنسيق الوحدة اللغوية، أي وضدها في سياقات مختلفة[1].

والمعنى عنده هو: "العلاقة بين العناصر اللغوية والسياق الاجتماعي بحيث تتحدد المعاني تلك العناصر وفقا لاستعمالها في المواقف الاجتماعية المختلفة" أي لابد من تحليل السياقات التي وردت فيها الكلمة لكي تصل إلى المعنى، حتى وإن كان منها غير اللغوي، فالكلمة لا معنى لها خارج السياق الذي تقع فيه بل يتحدد معناها تبعا لتوزيعها اللغوي، والسياق هو الذي يحدد معناها، فالكلمة الواحدة يمكن أن تعبر عن أشياء كثيرة في مواقف متعددة، ودور السياق يكمن في أنه يعطي لكل عبارة معنى محددا.

مثلا: كلمة "حسن" استعمال هذه الكلمة في سياقات مختلفة تعطى لنا معاني متمايزة، فإذا وردت في سياق لغوي مع كلمة "رجل" كانت تعني الناحية الخلقية، وإذا وردت وصفا لطيب، كانت تعني التفوق في الأداء وإذا أوردت وصفا للمقادير كان معناها الصفاء والنقاوة، فلولا السياق لما كان لكل كلمة معناها الخاص[2].

---

[1]- أحمد مختار، علم الدلالة، ص68.

[2]- المرجع نفسه، ص70.

لقد تأثر فيرث بمالينوفيسكي ويظهر تأثره في التناول الاجتماعي لظاهرة من خلال مصطلح سياق الحال، فكلاهما يهتم بتحديد المعنى بموجب السياق الذي تستعمل في اللغة ولكن بطرق مختلفة إلى حد ما وإن كان سياق الحال عند مالينوفيسكي تألف من الملامح الواقعية الفعلية التي ترتبط بالبيئة الثقافية والطبيعية التي حدث فيها الموقف "فإنه عند فيرث أشمل من ذلك أي أنه تحصيل المعنى الاجتماعي للكلام أو النص من خلال النظر إلى الظروف والملابسات الاجتماعية التي يتم فيها الحدث"[1]، وعي عنده تعني مجموعة من العناصر والملابسات التي تتضح وقت الكلام الفعلي.

ومن خلال ما سبق: نذهب إلى أن الكلمة لا معنى لها خارج السياق الذي تقع فيه ولكي نصل إلى معناها لابد من تحليل السياقات التي وردت فيها وتتعدد تبعا لتوزيعها اللغوي.

2- ستيفن أولمان:

لقد أشار أولمان إلى أن نظرية السياق ستمثل مجر الأساس في علم المعنى إذا طبقت بحكمة يقول: "وقد وضعت لنا نظرية السياق مقاييس لشرح الكلمات وتوضيحها عن طريق التمسك لما أسماه فيرث (ترتيب الحقائق في سلسلة السياقات، أي سياقات كل واحد منها ينطوي تحت سياق آخر ولكل واحد منها وظيفة لنفسه، وهو عضو في سياق أكبر، وكل السياقات الأخرى وله مكانة خاصة في ما يمكن تسميته سياق الثقافة)، والحق أن هذا المنهج طموح إلى درجة لا نستطيع معها في كثير من الأحيان إلا تحقيق واحد منه فقط/ ولكنه مع ذلك بعدنا بمعايير تمككنا من الحكم على النتائج الحقيقية حكما صحيحا"[2]، يرى ألمان من خلال هذا القول أن لسياق دورا كبيرا في شرح الكلمات وتوضيحها معتمدا في ذلك على المنهج السياقي الذي اعتمده فيرث، ورأى أن هذا المنهج فعال جدا كما نجد ألمان يركز على الفرق بين اللغة والكلام، فاللغة ثانية مستقرة والكلام عابر سريع الزوال، كما أن اللغة تفرض علينا من الخارج، في حين أن الكلام معتمد مقصود وعليه فاللغة اجتماعية والكلام فردي[3].

---

[1]- زنبة مداوس، نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني في ضوء النظرية السياقية الحديثة، رسالة ماجيستير، ص173.

[2]- عبد المنعم خليل، السياق بين القدماء والمحدثين، ص282.

[3]- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر مكتبة الشباب، ط10، 1986، ص32.

ويعتبر ألمان من اللغويين الذين اعتبروا أن المنهج السياقي خطوة تمهيدية للمنهج التحليلي حيث يقول: "بعد أن يجمع المعجمي عددا من السياقات المثلى التي ترد فيها الكلمة معينة، وحينما يتوقف أي جمع آخر للسياقات عن إعطاء أي معلومات جديدة يأتي الجانب العلمي إلى نهايته ويصبح المجال مفتوح أمام المنهج التحليلي".

وبهذا يخفض العدد اللامحدود من الأحداث الكلامية الفردية المتنوعة إلى عدد محدود من الأحداث الثابتة[1].

ومنه فإن ألمان يرى أن النظرية المنهج السياقي التي جاء بها العالم الانجليزي فيرث هي الحجر الأساس في علم المعنى إذ أنها تمكننا من الحكم على النتائج حكما صحيحا فهو يرى أن للسياق دور كبير في شرح الكلمات وتوضيحها.

ب- المدرسة الوظيفية (دي سوسير فندريس).

1- فرديناند دي سوسير:

عرف دي سويسر اللغة على أنها منظومة علامات أودعها مراس الكلام في الجمهور المتكلم، وأن المنظومة ناتجة عن تبلور اجتماعي، وأن الطبعة الاجتماعية هي طابع داخلي للمنظومة ولا توجد حقيقة لسانية خارج الديمومة والجمهور المتكلم[2].

فلا توجد لغة خارج نطاق الجمهور المتكلم، ولق فرق بين اللغة واللسان والكلام وعدد اللغة أوسع معنى بوصفها ظاهرة إنسانية عامة تختلف عن اللسان الذي يعده خاصا نظام مفرداتها، إذ يمكن تحديده بدقة بقوله أن اللسان لغة مجمدة بما فيها نظام مفرداتها وعناصرها المرتبطة أما الكلام فيعني ما بترجمته الفرد من قواعد اللسان.

كما تحدث سوسير عن الترابطات السياقية والإيحائية التي تعرف بالتقاطع المحوريين العمودي والأفقي يمثل كما يلي:

---

[1]- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص71.

[2]- جولييت غارمادي: اللسانية الاجتماعية، تعريب خليل أحمد خليل، دار النشر، دار الطبعة، تاريخ النشر: 1990م، بلد النشر لبنان، المدينة بيروت، ط1، ص17.

تقوم العلاقة الأفقية عند سوسير على عنصرين فأكثر كلها متواجدة في الوقت نفسه ضمن سلسلة العناصر الموجودة بالفعل، كما تقوم على صفة الخطية، حيث لا يمكننا أن ننطق بصورتين في الوقت نفسه، ويقول سوسير حول مفهوم السياق: "إن مفهوم السياق لا ينطبق على كلمات قراني فحسب، وإنما على مجموعات من الكلمات والوحدات المركبة مهما بلغت من الطول والتنوع..."[1] فالسياق لا يعبر عن معنى الكلمة لوحدها، وإنما ينطبق على اجتماع الكلمات مهما بلغ عددها وتنوعها أما العلاقة الإيحائية فتجمع بين مجموعة من العناصر بصورة غيابية لا وجود لها إلا في الذهن.

كما يتميز دي سوسير بكونه أول من تحدث عن الدراسة الآتية التي تدرس اللغة في فترة زمنية محددة والدراسة التاريخية التي تهتم بدراسة التطور التاريخي للغة، ويرى أنه يجب لإسناد جميع أنماط السياقات التي تطلع على منوال صيغ مطردة إلى اللغة لا إلى الكلام، والكلمة عنده إذا وقعت في سياق ما تكتسب قيمة إلا بفضل مقابلتها لما هو سابق ولما هو لاحق بها أو لكليهما معا[2].

ومنه فالكلمة لا تؤدي معنى إذا عزلناها عن السياق الذي وردت فيه إنما يكون لها معنى إذا استعملت فاللغة من خلال ربطها بما هو سابق وما هو لاحق بها.

2- العالم اللغوي فندريس:

لقد أعطى العالم اللغوي فندريس أهمية كبيرة للسياق، وعده المميز الوحيد الذي يحدد المعنى المقصود، حيث يقول: "إن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا، والسياق هو الذي يفرض قيمته واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي وسعها أن تدل عليه" معنى القول فندريس هو أن للكلمة دلالة مؤقتة يحملها السياق فالسياق هو الذي يحدد معنى الكلمة ويفرض عليه قيمته، حتى وإن كانت المعاني متنوعة وهذا ما ذهب إليه حون لانز إذ يقول: "من المستحيل أن تعطي معنى الكلمة دون وضعها في السياق" وقوله أيضا : "أعطى السياق الذي وضعت فيه الكلمة أخبرك بمعناها"، فالسياق هو الذي يحدد المعنى ويقول بريتراند راسل: "الكلمة تحصل معنى

---

[1]- علي آيت أوشان، النص والسياق الشعري من البنية الى القراءة، دار الثقافة، ط1، مؤسسة للنشر والتوزيع الدار البيضاء، 2000م، ص59.

[2]- دي سوسير، دروس في الألسونية العامة. تر: صالح القرمادي الدار العربية للكتاب، ليبيا، ص189.

غامضا لدرجة ما، ولكن المعنى ينكشف فقط عن طريق ملاحظة استعماله، الاستعمال يأتي أولا حينئذ تتفطر المعنى منه"[1].

يختلف فندريس عن دي سوسير كونه يحصر السياق في اللغة فقط بينما سوسير يربطه تارة باللغة وتارة أخرى بالكلام، وهو يرى أن الكلمة يتحدد معناها تحديدا مؤقتا فالكلمة يختلف معناها باختلاف سياقها الذي وضعت فيه.

ج- المدرسة الوظيفية (جاكسون، مالينوفسكي):

1- رمان جاكسون: يرى جاكسون أن اللغة وظائف، وكل عنصر من عملية التواصل تلازمه وظيفة وهذا المخطط يوضح هذه العناصر الستة المشاركة في عملية التخاطب والتواصل[2]:

سياق

مرسل ..... الإرسالية ..... مرسل إليه

اتصال

الوظيفة المهيمنة في التواصل اليومي هي الوظيفة المرجعية وتقوم على التقرير والنقل وهي التي تساعدنا على التواصل، لهذا يرى جاكسون أن اللغة ذات وظيفة مرجعية بالنظر إلى سياق التخاطب، إلا أن الوظيفة المرجعية أحيانا تتقاطع مع وظائف أخرى كالوظيفة التعبيرية أو الانفعالية التي تشير إلى موقف المرسل من مختلف القضايا ولعل المخطط التالي بين هذه الوظائف[3]:

[1]- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص72.

[2]- رومان جاكسون، قضايا شعرية، ترجمة محمد الوالي ومحمد حنوز، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، 1988.

[3]- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، ص175.

ما يفهم من مخطط جاكسون أن اللغة وظيفة بإزاء أي عنصر من عناصر الاتصال الستة، وعلى هذا يكون السياق وظيفة لغوية تؤديها اللغة والمرجعية وظيفة وهنا يرتبط حديثنا حتما بالموقف الالذي بأشيائه وموجوداته وأحوال المتكلم والسامع، يعين على سرعة الفهم، ويمثل على الشكل التالي[1]:

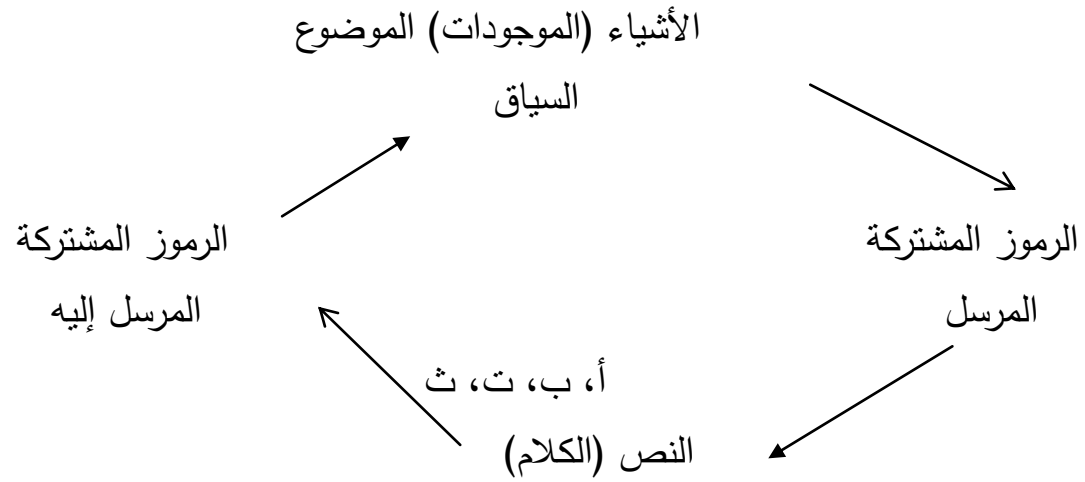

يرى "بروان" و" يول" أن العملية التواصلية لا تقوم دون عناصر مشاركة فيها حيث يفهم الخطاب ويؤول إلا إذا وضع في سياقه التواصلي فكثيرا ما نقول شيئا لا نقصد به معنى معين في سياق ما ونرمي إلى غيره في سياق آخر وهنا انتبه ما يضر إلى نقطة مهمة هي أن السياق يسمح بالتأويل، ولكن في الوقت نفسه يحصره ويضع له حدودا وينتصر للتأويل المراد، ولقد صنف ما يضر خصائص السياق في المرسل، المتلقي، الموضوع، المقام، القناة، النظم، شكل الرسالة، المفتاح والغرض[2].

هذه الخصائص كلها ذات قيمة معتبرة إلا أن المحلل قد ينتقي منها بعضها لغرض فكلما كانت المعلومات أوسع كان الفهم أسرع وأعمق، فقد يخيم الغموض على الخطاب ما إن لم تعرف على الأقل المتكلم والمستمع وزمان ومكان الخطاب وفضاءه الجغرافي.

[1]– فيردناد دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة: صالح قرمادي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985، ص189.

[2]– محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل الى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، 2006م، ص53.

أما ليفتش فقد حدد كذلك خصائص السياق ولكنه يختلف مع هايمز في الغرض فإذا كان هايمز يريد تنحديد التأويل بالسياق فإن ليفتش يتمثل غرضه في معرفة صدق أو كذب جملة ما ولهذا حدد خصائصه على الشكل التالي:

العالم الممكن: وهو أخذ الوقائع من الممكن أن تكون.

الزمن: وهو الاعتماد على الجمل ظروف زمان كاليوم، الأمس، الأسبوع المقبل.

المتكلم: وذلك بالاهتمام بالجمل المحتوية على ضمائر المخاطب.

المشار إليه: وهذا يتحدد بما وظف من أسماء الإشارة هذا وهؤلاء أو ماله معنى الإشارة.

الخطاب السابق: اعتبار الجمل التي تتضمن الإحالة إلى جمل أخرى مثل هذا الأخير إذا كان الأول... المذكور سالفا...[1].

التخصيص: هي سلسلة أشياء لا متناهية.

مما سبق تبين لنا أن الخطاب لا معنى له دون الإحاطة بسياقه، لأن السياق يبدد بغموض الخطاب.

2- مالينوفسكي:

إن أول المفاهيم التي استعملها الغربيون هو مصطلح "سياق الحال" الذي وضعه العالم "مالينوفسكي" فقد كانت البداية الحقيقية لنظرية السياق في الجهود التي قدمها (بذلها) بوضعه لمصطلح (context of situation) قاصدا به سياق الحال[2] وبعد أن استعمل مالينوفسكي هذا المصطلح جاء العالم الإنجليزي فيرث وأجرى عليه عدة تطورات، إذ أصبح سياق الحال عنده نوعا من التجريد من البيئة، أو الوسط الذي يقع فيه الكلام[3] مستعملا هذا السياق في نظريته اللغوية التي بناها على أمرين هما: السياق اللغوي، أو تحليل النص وفق مستوياته اللغوية والإفادة من القرائن المقالية المتوفرة، والسياق الحالي أو المقامي، أو سياق الموقف[4].

---

[1]- محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل الى انسجان النص ، ص54.

[2]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص237.

[3]- المرجع نفسه، ص382.

[4]- محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، 1997م، ص310.

إذ درس فيرث وأصحابه معنى الكلمة متجاورين في ذلك الدلالة وطبيعة العلاقة بين الدال والمدلول، فقد اهتموا بالدور الذي تؤديه الكلمات في السياق، والطريقة التي تستعمل بها[1]، فالمعاني عندهم هي حصيلة استعمال الكلمة في اللغة من حيث وضعها في سياقات مختلفة[2]. فالمعنى لا ينكشف إلا من خلال تنسيق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة[3].

ومنه فإن العالم الأنتروبولوجي مالينوفسكي هو من ارتبط به فكرة السياق من قبل لأنه أول من وضع مصطلح سياق الحال، وقد اعتمد عليه العالم الإنجليزي فيرث وعمل على تطويره فأصبح سياق الحال عنده نوعا من التجريد من البيئة.

المطلب الثاني: مفهوم السياق في المدارس اللسانية الأمريكية.

أ- المدرسة التوزيعية (السلوكية) (بلوم فيلد) (ماريس).

1- بلوم فيلد: أشار بلوم فليد إلى العناصر السياقية في دراسته اللغوية ولمح إلى أهمية المعنى في الدراسة اللغوية في أكثر من موضع، وصرح أن المعنى يتألف من ملامح الإثارة وردود الفعل القابلة للملاحظة والموجودة في المنطوقات وعرف معنى الصيغة اللغوية بأنها: "الموقف الذي ينطبق المتكلم فيه والاستجابة التي تستدعيها من السامع" فعن طريق نطق الصيغة اللغوية يحث المتكلم سامعه على الاستجابة للموقف[4].

القول بمبدأ الاستجابة والمثير يستدعي الأخذ كذلك بالمقام الذي وصل فيه البحث الكلامي ولكي يتم تحديد دلالته صفة لغوية تحديدا دقيقا وجب حصر جميع المقامات التي صاحبت استعمال صيغ في الحدث الكلامي[5]، فلا يمكن تحديد الدلالة بالاعتماد على المثير والاستجابة فقط، بل لابد منا الأخذ بالحسبان دور المقام في تحديد الدلالة تحديدا دقيقا.

---

[1]- غنية تومي، السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد6، 2010، ص2 .

[2]- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات دار الفكر، ط3، 1429هـ، 2008م، ص253.

[3]- المرجع نفسه، ص354.

[4]- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص72.

[5]- منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث الغربي، عن منشورات اتحاد الكتب العرب، دمشق، 2001م، ص87.

لم يذكر بلوم فيلد قيمة الدلالة في البحث اللغوي وإنما اعتمد على ربط المعنى الدلالي بالظروف والملابسات التي تحيط بالحدث اللغوي، والمثال الذي ضربه بلوم فيلد للحدث الكلامي هو قصته المشعورة عن "جاك وجيل"" الكاشفة عن المعنى في هذه الفقرة (جبل جائعة وترى تفاحة فتطلب من جاك أن يحضرها).

في هذا المثال جوع جيل ورؤيتها التفاحة بشكلان المثير (م) وبدل استجابتها المباشرة (س) تتسلق الشجرة والحصول على التفاحة بنفسها عملت استجابة بديلة (س) في شكل منطوق معين وهذا النطق قام بدور المثير البديل (م) لجاك ناسبا له استجابة (س) تماثل ما كان سيفعله لو شعر هو بنفسه بالجوع ورأى التفاحة.

لقد قسم بلوم فيلد الحدث اللغوي إلى ثلاثة أقسام هي:

1- الأحداث العلمية السابقة على الحدث الكلامي.

2- الكلام.

3- الأحداث العلمية التي تلي الحدث الكلامي[1].

لقد كان بلوم فيلد السباق إلى نظرية السياق في الغرب انطلاقا من محاولته ترجمة بعض النصوص لمجتمعات بدائية، فلما عجز عن التفطن إلى أن الكلام الملفوظ لا يكون له معنى إلا إذا تم ربطه بالسياق الذي ورد فيه.

من هنا نلتمس الأهمية التي أعطاها الغربيون لمصطلح السياق، لا يمكن لأحد منا أن يذكر أهمية المنهج السياقي في الوقوف على المعنى الدلالي وإبرازه لأنه يعتبر المنهج الصحيح والفعال في الكشف عن المعنى.

2- هاريس:

الفكرة التي يبني عليها التوزيع أن معنى الكلمة يمكن أن يحدد بالنظر إلى السياق الذي يقع فيه ويرجع أصول هذه الفكرة إلى الرأي القائل بأن التحليل اللغوي معنى أساسي بتوزيع العناصر اللغوية وهو رأي ارتبط بهاريس وكانت لفكرة التوزيع أهمية كبرى عند المدرسة البنيوية في علم اللغة التوزيعي يحدد ويصنف الكلمات ومعانيها عن طريق علاقات مع الكلمات الأخرى ضمن المجموع، وهذا يقودنا إلى القول بأن الأشكال التي توضع في

[1]- عبد النعيم خليل، السياق بين القدماء والمحدثين، ص274.

سياق مماثل لها خصائص مشتركة يحددها[1]، وتظهر علاقة هذه الفكرة بنظرية السياق في كون معنى الكلمة لا يتحدد إلا بالسياق الذي ترد فيه، وهو الذي يعطيها معناها الأول والأخير.

واعتمدوا بشكل كلي على السياق الذي ترد فيه الكلمة وهذه المبالغة في الاعتداد بالسياق اللغوي وربط المعنى به بصفة آتية، والنص عند هاريس هو منجز لغوي ذو علاقات ترابطية فيما بين مكوناته المتتابعة وهو غرض إبلاغي ويبين الموقف علاقة حضور متبادل وجعل منها ثنائيات تعتمد على[2]:

- النص والجملة: النظام الافتراضي (Virtual system) والنظام الفعال.
- الشكل والمضمون.
- النص والخطاب.

معايير النص:

- السبك Cohésion
- الالتحامcohérence
- القصدintentionnalité
- القبولacceptabilité
- رعاية الموقفsituationalité
- التناصintertextualité
- الإعلامية infomativity

ب- المدرسة التوليدية (نعوم تشومسكي) (Naom Chomsky):

أصدر نعوم تشومسكي كتابه الأول 1928م البنى النحوية ومن ذلك الحين تغير اتجاه اللغة من الوصفية إلى منهج جديد عرف بالنحو التوليدي التحويلي، وبالرغم من أنها لم تغفل في بدايتها الأولى وأصولها بالسياق واستبعدت علاقة اللغة بالمجتمع في أعمالها، إذ قامت هذه النظرية على فكرة المتكلم السامع المثالي وثنائية (الطاقة والأداء) و(البنية العميقة والبنية السطحية) و(الإبداعية اللغوية).

---

[1]- بالمر، علم الدلالة، ترجمة صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1995م، ص142.

[2]- بير غيرو، علم الدلالة، ترجمة منذر عياشي، دار طلاس، دمشق، ط1، 1988م، ص158.

على مستوى اللغة استند تشومسكي إلى (الكفاية-الأداء) compétence performance الكفيلة أو المهلكة أو الطاقة هي المعرفة اللاواعية والضمنية بقواعد اللغة التي يكتسبها المتكلم منذ طفولته وتبقى راسخة في ذهنه وتكمن في امتلاك المتكلم – السامع القدرة على إنتاج عدد هائل من الجمل من عدد محدود جدا من الأصوات ثم القدرة على الربط بين الأصوات المنتجة وتجمعها في جمل[1]، فالسياق هنا يلعب دورا مهم في الكفاية اللغوية تمكن المتكلم من إنتاج عدد غير محدود من الجمل إنتاجا ابتكاري، لا مجرد تفلية وتمييز الجمل الصحيحة نحويا وغير صحيحة وفهم تراكيب الجمل داخل السياق.

أما الأداء فهو الاستعمال الفعلي للغة ضمن سياق معين يمكن القول بأنه بمثابة التمثيل الحي للكافة اللغوية، هذا يعني أن الأداء هو الكلام أو الأصوات والكلمات تنتظم في جمل خاضعة للقواعد والقوانين اللغوية الكامنة فو الوجه المنطوق للمعرفة الضمنية الكامنة أو التمثيل النطقي للكفاية اللغوية[2].

والكفاية والأداء تنظران للغة والكلام عند سوسير وفيث، لكن بينهما فرق جوهري وهو أن الكفاية فردية أي خاصة بالفرد، واللغة يقصد بها النظام وهي ظاهرة اجتماعية.

وعلى مستوى الجمل استند تشومسكي على (البنية العميقة والبنية السطحية) وضح هذين المبدأين من أجل تسيير دراسة الجمل المنطوقة والمكتوبة فالبنية العميقة هي" التركيب الباطني المجرد الموجود في ذهن المتكلم وجودا فطريا، وبها تشكل من القواعد والقوانين في اكتساب اللغة وهي أول مرحلة من عملية إنتاج الكلام بل هي الأساس لبناء الكلام وتوليده، وعلى التركيب المستقر الذي يحمل عناصر التفسير الدلالي للحملة[3]، هذا يمثل قصد المتكلم ومحاولة توصيل قصده إلى السامع بتوظيف السياقات التي تحدد الكلام، إما البنية السطحية فتتمثل في التركيب السطحي للوحدات الكلامية المادية المنطوقة والمكتوبة ففي التفسير الصوتي للجملة[4].

---

[1]– ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ص64.

[2]– المرجع نفسه، ص69.

[3]– بيار غيرو، علم الدلالة، ص77.

[4]– شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، بيروت، أبحاث الترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004م، ص81.

كل جملة تضمن بنيتين عميقة وسطحية يقوم السياق بالربط بينهما ويحاول التركيب الباطني المجرد إلى تركيب ظاهر بتحويلها من وجود بالقوة إلى الوجود بالفعل.

الإبداعية Créativité عند تشومسكي هي استعمال اللغة استعمالا ابتكاريا خلافا وتجديديا فكل لغة تتكون من مجموعة من الأصوات ومجموعة محصورة من القواعد ومع ذلك فهي تنتج أو تولد جملا لا نهاية لعددها[1].

ومنه فتشومسكي يرى أن اللغة إبداعية بطبيعتها أي أن كل منكم يستطيع أن ينطق جملا لم يسمعها من قبل، وأن يفهم جملا لم يسمعها قط فالإبداعية هنا مرتبطة بالسياق لا يمكن الفصل بينهما.

خلاصة:

وما نستخلصه من هذا المبحث أن ظهور النظرية السياقية في الثقافية اللسانية الغربية بعد تحولا منهجيا في البحوث اللسانية فمنذ أن ظهرت البنيوية منهجا بديلا للدراسات التاريخية والمقارنة أخذت ثورة في هذا المجال بعد أن أثبتت إجرائيا أن الدراسة تتم على المستويات اللغوية المعروفة وقد أكدت نظرية السياق بزعامة فيرث أهمية هذه المستويات كما أضافت التأثير الخارجي للغة وهو الاحتكام إلى سياق الحال في تفسير اللغة.

[1]– ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ص93.

المبحث الثالث: أهمية السياق القرآني وبيان خصائصه:

المطلب الأول: أهمية السياق القرآني:

إن للسياق دور كبير في تحديد الدلالة المقصودة من الكلمة في جملتها حيث أنه يربط حركات الإحالة بين عناصر النص، فلا يفهم معنى الكلمة أو الجملة إلا بوصفها بالتي قبلها أو بالتي بعدها داخل إطار السياق حيث أن دلالة السياق معتبرة في الشريعة الإسلامية فهو يعتبر منهج في فهم القرآن وتفسيره، فلا يفهم كلام العرب إلا ضمن سياقه والقرآن الكريم نزل بلغة العرب، يقول الله تعالى: "وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين *على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين * " [سورة الشعراء الآية (192-195)]. والنبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب وأعلمهم بدلالات ألفاظ العربية، يقول الإمام الشافعي – رحمه الله- " ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا وأكثرها ألفاظا ولا تعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه[1].

إذا فالسابق يحدد الدلالة المقصودة من الكلمة وجملتها فلا يقع معناها إلا بالرجوع إلى الكلمة التي قبلها أو بعدها داخل السياق والسياق منهج في فهم القرآن وتفسيره والنبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب وأعلمهم بدلالة الألفاظ.

قد ثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – اعتبار هذه الدلالة- أي السياق- واستخدامه بما يدل على أهميتها وأصالتها فمن ذلك قوله –صلى الله عليه وسلم- لعائشة- رضي الله عنها- عندما سألنه عن قوله تعالى: ﴿**والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون**﴾ (سورة المؤمنون الآية 60) فقالت هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ فقال صلى الله عليه وسلم: لا يلينن الصديق، ولكنهم هم الذين يصلون ويصومون، ويتصدقون، وهم يصومون ألا يقبل منهم ﴿**أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون**﴾ (سورة المؤمنون الآية 61).

فالنبي صلى الله عليه وسلم استدل على هذا المعنى باستخدام دلالة السياق، فاستدل بإلحاق الآية على المعنى المراد فإذا نظر للآية الكريمة بمفردها بمعزل عن سياقها فإنها حينئذ تتحمل معنيين متضادين:

[1]- محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة ، ص32.

الأول: ما فسرها النبي – صلى الله عليه وسلم– وهو أن المراد منها الذين يعملون الطاعات وهم خائفون أن لا تقبل منهم لتقصيرهم.

الثاني: ما فهمته عائشة – رضي الله عنها– وهو أن المراد ومنها الذين يعملون المعاصي وهم خائفون من لقاء الله – عز وجل–.

وإذا نظر لها في ضوء سياقها فإنه حينئذ يترجح أحد المعنيين وهو الأول وهذا ما عمله النبي – صلى الله عليه وسلم– فهو – صلى الله عليه وسلم– لم يكتفي في بيان المعنى الحق والصواب في هذه الآية، بل حلل على هذا باستخدام دلالة السياق.

وتتجلى أيضا أهمية السياق القرآني في أعمال الصابة –رضي الله عنهم– في اعتبارهم لسياق كأصل من أصول التفسير وأعمال دلالة السياق في تفسير كلام الله تعلى، يقول ابن تيمية –رحمه الله– "وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن الكريم ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أخرى بذلك لما شاهدوه من القرآن ولا في اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح والعمل الصالح[1].

اعتبر الصحابة –رضي الله عنهم– السياق كأصل من أصول التفسير في فهم كلام الله وتفسيره وهذا ما جعل ابن تيمية –رحمه الله– يقول إذا لم نجد التفسير في القرآن والسنة نعود إلى أقوال الصحابة فهو يرى أن أعمال الصحابة رضي الله عنهم لدلالة السياق دلالة على ما يمتلكونه من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح.

وأعمال الصحابة لدلالة السياق في القرآن الكريم يدل على وضوحها في أذهانهم – رضي الله عنهم– ومن أمثلة ذلك:

1– سأل رجل عليا بن أبي طالب –رضي الله عنه– قائلا: يا أمير المؤمنين: أرأيت قول الله ﴿**ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا**﴾ (سورة النساء الآية 141) وهم يقاتلوننا فيظهرون ويقتلون؟ فقال علي –رضي الله عنه– " أدنه، أدنه ﴿**فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا**﴾ "سورة النساء الآية 141" يوم القيامة[2].

---

[1]– ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تح: عدنان زوزور، دار القرآن الكريم، بيروت، ط3، 1399، 1979، ص95.

[2]– ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ص609، 610.

ومنه فقد وقع السائل في الخطأ لأنه عزل هذا الجزء من الآية عن سياقه فأسقط معنى هذه الآية على الواقع وهذا ما جعل سيدنا عمر –رضي الله عنه– في رده على السائل يستدل بسياق الآية ليوضح المعنى في ظل سياقها فالحديث عن يوم القيامة.

2– قال الخارجي نافع ابن الأزرق، لابن عباس –رضي الله عنهما–: "يا أعمى البصر، يا أعمى القلب، تزعم أن قوم يخرجون من النار[1]، وقد قال الله عز وجل: ﴿**وماهم بخارجين منها**﴾ [سورة المائدة الآية 37]. فقال له ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما، "ويحك اقرأ ما فوقها هذه للكفار"[2].

فنجد أن ابن عباس –رضي الله عنه– رد على هذا الخارجي الخرافة العقدي بدلالة سياق الآيات فأرشده لسابقها وهو قوله تعالى: ﴿**إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله ليقتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم**﴾ [سورة المائدة الآية 36] .

ثم قال الله تعالى بعد ذلك: ﴿**ليس دون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم**﴾ [سورة المائدة الآية 37] .

إن المقصود بها الكفار لأنها في سياق الحديث عنهم –ومن خلال هذا الأثر تبين خطورة إهدار دلالة السياق القرآني، وأن ذلك بسبب الخطأ والانحراف العقيدي.

3– وما ثبت أن عروة بن الزبير رحمه الله سأل أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– فقال: أرأيت قول الله تعالى: "**إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما**" [البقرة الآية 198] . فوالله ما أحد جناح عليه أن لا يطوف بالصفا والمروة.

فقالت عائشة –رضي الله عنها– بئس ما قلت يا ابن أختي إن هذه لو كانت لحما أولتها عليه كانت "لا جناح عليه أن لا يطوف بهما" ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يحملون لمناة الطاغية، التي كانوا يعبدونها بالمشلل فكان من أمل لها بتحرج أن يطوف بين الصفا والمروة، فلما أسلموا سألوا الرسول –صلى الله عليه وسلم– عن ذلك، قالوا يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة فأنزل الله تعالى: "إن الصفا والمروة

---

[1]– ابن قنينة، المعارف ترجمة ثروة عكاشة دار المعارف، القاهرة، دط، د ت، ص622.

[2]– الطبري، جامع البيان ص406، 470.

من شعائر الله" قالت عائشة وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما"[1].

والشاهد من هذا الأثر هو قولها رضي الله عنها إنها لو كانت على ما أولتها عليه كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بينهما.

فأنكرت على عروة رحمه الله ما فهمه من إباحة عدم الطواف بالصفا والمروة لأن الإباحة تحتاج رفع الإثم عن التارك[2]، وهذا ما لا يدل عليه سياق الآية وبينت أنه لو أريد هذا المعنى في الآية لكان سياقها "فلا جناح أن لا يطوف بهما" وبهذا يتبين ارتباط المرض بالسياق.

استدلت أيضا كذلك في بيان المعنى الصحيح للآية بسبب النزول –وعن ابن عمر– رضي الله عنه– قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: يوم الأحزاب لا يصلبن أحد العصر إلا في بني قرطبة" فأدرك بعضهم العصر في الطريق؛ فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بلى نصلي لم يرد منا ذلك، فذكر النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يعنف واحد منهم"[3].

وأما لفظ مسلم فعن عبد اله، قال فإن فينا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يوم انصرف عن الأحزاب: "أن لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة" فتخوف الناس فوت الوقت فصلوه دون بني قريظة" وقال آخرون: لا نصلي إلا حيث أمرنا الرسول وإن فاتنا الوقت، قال فاعنف واحدا من الفرقين"[4].

قال النووي رحمه الله أما جمعهم بين الروايتين في كونها الظهر والعصر، فمحمول على أنه هذا الأمر كان بعد دخول وقت الظهر، وقد صلى الظهر بالمدينة بعضهم دون بعض، فقيل للذين لم يصلوا الظهر: لا تصلوا الظهر إلا في بني قريظة والذين صلوا

---

[1]– صحيح البخاري، كتاب الحج، وجود الصفا والمروة، جعل من شعائر الله برقم (1643).

[2]– أحمد العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، تح: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، المكتبة السلفية، مصر، ط1، د ت، ص3، 499.

[3]– صحيح البخاري، كتاب المغازي باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب ومخرجه الى بني قريظة ومحاصرته إياه 1510/4، برقم (3893).

[4]– صحيح مسلم، كتاب الجهاد واليسر باب المبادرة بالغزو وتقديم أهم الأمرين المتعارضين، 1391 برقم 1770.

بالمدينة: لا تصلوا العصر إلا في بني قريظة ويحتمل أنه قبل للذين ذهبوا بعدهم: لا تصلوا العصر إلا في بني قريظة، والله أعلم.

أما اختلاف الصحابة رضي الله عنهم في المبادرة بالصلاة عند ضيق وقتها وتأخيرها ففيه أن أدلة الشرع تعارضت عندهم بأن الصلاة مأمورة بها في الوقت مع أن المفهوم في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يصلين أحد الظهر أو العصر إلا في بني قريظة، المبادرة بالذهاب إليهم وأن لا يشتغل عنه بشيء لا أن تأخير الصلاة مقصود نفسه من حيث أنه تأخير فأخذ بعض الصحابة بهذا المفهوم، نظرا إلى المعنى لا إلى اللفظ فصلوا حين خافوا فوات الوقت وأخذ الآخرون بظاهر اللفظ وحقيقته فأخروها ولم يعنف النبي صلى الله عليه وسلم واحد من الفريقين لأنهم مجتهدون"[1].

من خلال ما سبق فإن اخلاف الصحابة راجع إلى أن كل طائفة منهم اجتهدت فصليت فاللذين أخروا صلاة العصر حتى وصلوا إلى بني قريظة تمسكوا بظاهر خطاب النبي صلى الله عليه وسلم والذين صلوا العصر في وقتها نظروا إلى المعنى المقصود وهو الإسراع في السير لا حقيقة اللفظ.

قال ابن تيمية رحمه الله فالأولون تمسكوا بعموم الخطاب فجعلوا صور الفوات داخله العموم والآخرون كان معهم من الدليل ما يوجب خروج هذه الصورة عن العموم فإن المقصود المبادرة إلى القوم وهي مسألة اختلف فيها الفقهاء اختلافا مشعورا هل بعض العموم بالقياس؟ ومع هذا صلوا في الطريق كانوا أصوب"[2].

فالصحابة رضي الله عنهم اختلفوا هنا فالذين فهموا أن المقصود المبادرة إلى القوم، إنما فهموا ذلك من السياق وذلك من أوجه:

أولا: أن معرفتهم بحال المتكلم فجعلهم يفهمون بأن ليس له قصد إلا المبادرة وذلك أنه لا يظن أن يكون من المقاصد أنه يمكن أن يؤمها صلى الله عليه وسلم صلاة القوم في بني قريظة بذاتها.

ثانيا: ما يعلمونه من حال الشريعة، فإن الصلاة على وقتها أمر مطلوب وقد عارض ما يفهم من الظاهر، فكان أحد الموجهات إلى هذا الظاهر والمبينات لها براد منه.

---

[1]– شرح صحيح مسلم ص340، 340.

[2]– ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، طابعة مجمع فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1425هـ، 2004م، ص20، 252.

ثالثا: الحال الذي كان عليها القوم، فإنهم كانوا في حال حرب وبنوا قريظة قد نقضوا العهد والرسول صلى الله عليه وسلم يستفزهم لقتالهم فهذا يفهم من البدال والمعالجة للقوم والله أعلم.

ومنه فإن الأصح حمل اللفظ على ما يطبق الظاهر أولى من حمله على ما يوجب ترك الظاهر.

عن ابن عباس رضي الله عنه أن قدامة بن مظفون شرب الخمر بالبحرين فشهد عليه، ثم سئل فأقر أنه شربه، قال له عمر بن الخطاب: ما حملك على ذلك؟ فقال لأن الله تعالى يقول: ﴿**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات**﴾ سورة المائدة 93.

وأنا منهم أي من المهاجرين الأولين ومن أهل بدر وأهل أحد، فقل للقول أجيبوا الرجل، فسكنوا، فقال لابن عباس أجب، فقال: إنما أنزلها عذرا لمن شربها من الماضين قبل أن تحرم وأنزل: ﴿**إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان**﴾ المائدة الآية 90، حجة على الباقين ثم سأل من عنده عن الحد فيها فقال يحيى بن أبي طالب: "إنه إذا شرب هذي وإذا هذي وإذا هذي افترى فاجلدوه ثمانين"[1].

قال ابن القيم –رحمه الله–: "وفهم قدامة بن مظعون من قوله تعالى: ﴿**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات**﴾سورة المائدة الآية 93. رفع الجناح عن الخصر حتى بين له عمر أنه لا يتناول الخمر ولو تأمل سياق الآية لفهم المراد منه، فإنه إنما رفع الجناح عنهم فيما طعموه متقين له فيه، ذلك إنما يكون باجتناب ما حرمه الله من المطاعم، فالآية لا تتناول المحرم بوجه ما"[2].

وقد استدل ابن عباس –رضي الله عنهما– بالسياق المتقدم للآية فقد جاءت الآية التي تناولها قدامة رضي الله عنه في سياق تحريم الخمر، وهي الآية التسعون التي استدل بها ابن عباس رضي الله عنهما، والله أعلم.

---

[1]– سنن النسائي الكبرى، كتاب الحد في الخمر، بابٌ امة الحد على من شرب الخمر على التأويل، 253/3، المستدرك على الصحيحين، 417/4.

[2]– ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، تح: عبد الرحمان الوكيل، مكتبة ابن تيمية، دط، د ت، ص435/1.

ولقد أدرك العلماء رحمهم الله أهمية دلالة السياق منذ القديم فأقوالهم تزخر في بيان ذلك فمنها:

1- يقول الإمام مسلم بن يسار –رحمه الله-: "إذا حدثت عن الله حديثا فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده"[1].

2- يقول الإمام محمد بن إدريس الشافعي –رحمه الله- مبينا أثرها وارتباطها باللغة العربية وتبتدئ العرب من كلامها بين أول لفظها عن آخره وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله"[2].

ويبين إمام الحرمين رحمه الله ارتباط لمعاني بالسياق فيقول فإن المعاني يتعلق معظمها بفهم النظم والسياق"[3] ويقول الإمام البغوي –رحمه الله- مبينا جواز تأويل القرآن الكريم لأهل العلم، ولكن يشترط احتمال لغة له وموافقته للسياق وعدم مخالفته الكتاب والسنة" فأمنا التأويل هو صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها غير مخالف لكتاب الله والسنة من طرق الاستنباط، فقد رخص فيه لأهل العلم"[4].

فقد بين رحمه الله أن دلالة السياق ترجح أحد المعاني المحتملة للآية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- في بيان كيفية الكشف عن حقيقة المعنى "فنأمل ما قبل الآية وما بعدها يطلعك على حقيقة المعنى"[5]، وما قبل الآية وما بعدها نحو السياق بشقيه السياق واللحاق.

ومنه فإن للكشف عن حقيقة المعنى لابد أن نتأمل ما قبل الآية وما بعدها لنصل إلى المعنى الحقيقي.

أما الشيخ ولي الله الدهلوي رحمه الله فيقول: "ولابد للمفسر العادل أن ينظر إلى شرح الغريب نظرتين وينزله وزنا علميا مرتين"[6].

---

[1]- ابن قتيبة، المعارف، ص234.

[2]- الشافعي، الرسالة، ص52.

[3]- أبو المعالي الجويني، البرهان في أصول الفقه، ج2، ص870.

[4]- الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، تح: محمد عبد الله، النصر، عثمان ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، ص2.

[5]- ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ص196.

[6]- صديق حسن خان القنوجي، أبجد العلوم، أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار دار الكتب العلمية، بيروت، 1978، ص241.

مرة في استعمالات العرب حتى يعرف أي وجه ووجوهها أقوى ومرة ثانية في مناسبة السابق واللاحق بعد إحكام مقدمات هذا العلم وتتبع موارد الفحص عن الآثار حتى يعلم أي صورة من صورها أولى وأنسب.

وقال الشيخ عبد الرحمان السعدي –رحمه الله– في بيان الأمور المعنية على فهم المراد من القرآن فالنظر لسياق الآية الآيات مع العلم بأحوار الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله أي القرآن من أعظم مما يعين على معرفته وفهم المراد منه"[1].

يتبين لنا من خلال أقوال العلماء السابقة مدى اهتمامهم بدلالة السياق واتخاذهم له كمنهج في فهم القرآن الكريم وتفسيره حيث أن التحليل بالسياق يعد وسيلة من وسائل تصنيف المدلولات لذلك يتعين عرض اللفظ القرآني على موقعه لفهم معناه، ودفع المعنى غير المراد.

المطلب الثاني: خصائص الخطاب القرآني:

مما يميز السياق القرآني عن باقي السياقات الأخرى من الخصائص يلخصها الدكتور المثنى عبد الفتاح في كتابه السياق القرآني في ثلاثة وهي[2]:

1- ضبط السياق القرآني لفهم المتلقي:

فإذا عرفت السياق اللغوي للآية وصلت إلى المعنى الأصلح لها، ومثال ذلك أن بعض المفسرين نسبوا الكلام في الآية لسيدنا يوسف عليه السلام في قوله عز وجل: "ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائن" سورة يوسف الآية 52.

بينما هو لامرأة العزيز لأن سيدنا يوسف عليه السلام كان في السجن آنذاك ولم يكن حاضرا الجلسات، ودليل ذلك في قوله تعالى: ﴿**وقال الملك أتوني به فهو استخلصه لنفسي**﴾سورة يوسف الآية 54. بما أنه قال أتوني به فهو ليس موجودا في الاجتماع[3]، الشاهد في القول أن المفسر عليه أن يكون ملما بالسابق واللاحق للآية المراد تفسيرها فلا يمكن الإتيان بالمعنى خارج سياقه.

---

[1]– السعدي، تيسير الكريم الرحيم في تفسير كلام المنان، اعتناء: سعد ابن فواز الصهيل، دارين الجوزي، الدمام، ط1، 1422هـ، ص1، 4.

[2]– المثنى عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني، دراسة تأصيلية دلالية نقدية، دار وائل عمان الأردن، ط1، 2008م، ص53.

[3]– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص05.

2- عدم قابلية السياق القرآني التفكيك أو التجزؤ:

فلا يمكن أن نفصل كلام الله تعالى في سياقه بنوعين وإلا كان التفسير بجانب الصواب.

3- مرونة وحيوية السياق القرآني:

القرآن الكريم يتميز بكونه صالحا لكل زمان ومكان فنزوله قبل ما يربو عن أربعة عشر قرنا لا يعني أن صلاحيته قد انتهت بل بالعكس هناك بعض مما جاء في القرآن لم يتضح معناه إلا مؤخرا بظهور البحث في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ومنه فخصائص السياق القرآني نحصرها في ما يلي:

ضبط السياق القرآني لفهم المتلقي، أهمية السياق القرآني بوصفه صاحب الحاكمية والسلطة في تحديد مدلولات الألفاظ ومعانيها المرادة على المتلقي.

- فهو ضابط لفهم المتلقي.
- عدم قابلية السياق القرآني التفكيك أو التجزؤ.
- مرونة السياق القرآني وحيويته[1].

المطلب الثالث: أنواع السياق القرآني:

تمهيد:

السياق القرآني يختلف عن أي سياق آخر، وذلك أنه مكون من أربعة دوائر من السياق بعضها دان في بعض ومبني له، وهذا من أعظم ما يتميز به القرآن الكريم، بل هو من مظاهر إعجازه وبلاغته، وذلك أنه ينقسم إلى أربعة أنواع:

النوع الأول: سياق القرآن.

النوع الثاني: سياق السورة.

النوع الثالث: سياق النص أو الآيات.

النوع الرابع: سياق الآية.

وهذه الأنواع الأربعة مؤتلفة ائتلافا عجيبا فلا تجد بينهما تعارضا بل إنها متكاملة تكاملا، ينتج عنه معني متعددة وأغراض متنوعة وهذا هو أعلم سر كون القرآن محتملا

[1]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص05.

بالوجوه الكثيرة والمعاني المتعددة، كما قال "أبو الدرداء" رضي الله عنه: "إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجها كثيرة"[1].

وقد حقق هذا النوع في سياق القرآن صاحب كتاب (دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم)، فقال: " السياق قد يضاف إلى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أساسي واحد، كما أنه قد يقتصر على آية واحدة، ويضاف إليها، وقد يكون له امتداد في السورة كلها بعد أن يمتد إلى ما يسبقه ويلحقه وقد يطلق على القرآن بأجمعه، ويضاف إليه، بمعنى أن هناك سياق آية وسياق نص وسياق السورة والسياق القرآني، فهذه دوائر متداخلة متكافلة دون إيضاح المعنى"[2].

وسنقف مع كل نوع لتحرير المراد منه بإجمال في المطالب التالية:

- المطلب الأول: سياق القرآن:

المراد بهذا النوع من السياق القرآني مقاصد القرآن الأساسية، والمعاني الكلية التي تسمى بالكليات في القرآن الكريم، والأساليب المطردة في القرآن التي تسمى بعادة القرآن وعلى هذا فيمكن تقسيم هذا النوع إلى وجوه:

الوجه الأول: مقاصد القرآن العظمى:

القرآن مبني على أغراض ومقاصد أساسية، وهذه الأغراض والمقاصد معتبرة في تفسير كلام الله تعالى كله، بل يجب الاعتماد عليها في كل سورة وآية من حسب ما يقتضي المقام فيها.

ومقاصد القرآن ظاهرة فيه، وقد حررها العلماء:

قال السيوطي في الإتقان: "وقال الغزالي في خواص القرآن مقاصد القرآن ستة: ثلاثة مهمة وثلاثة تتمة، الأولى: تعريف المدعو إليه، كما أشير إليه بصدرها، وتعريف الصراط المستقيم، وقد صرح به فيها، وتعريف الحال عند الرجوع إليه تعالى، وهو الآخرة، كما أشير إليه بقوله تعالى: "مالك يوم الدين" الفاتحة (4)، والأخرى: تعريف أحوال المطيعين، كما أشار إليه بقوله تعالى: "الذين أنعمت عليهم" الفاتحة (07).

---

[1]- عبد الرزاق في المصنف (255/11) رقم (20473)، البرهان في علوم القرآن (193/1).

[2]- عبد الوهاب رشيد، دلالة السياق منهج مأمون في التفسير للقرآن الكريم، عمار للنشر والتوزيع، مجلد1، 2010، ص88.

وتعريف منازل الطريق، كما أشير إليه بقوله تعالى: "اليك نعبد واياك نستعين" (الفاتحة 05)[1].

وقد أجمل ابن عاشور مقاصد القرآن كلّها في ثمانية مقاصد:

الأول: اصلاح الاعتقاد، الثاني: تهذيب الأخلاق، الثالث: بيان التشريع، الرابع: سياسة الأمة وصلاحها وحفظ نظامها، الخامس: القصص وإخبار الأمم السالفة بصالح أعمالهم وأحوالهم، السادس: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين وما يؤولهم إلى تلقي الشريعة ونشرها، السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، الثامن: الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول[2].

ودليل اعتبار مقاصد الرسول كله ما جاء في السنة من اعتبار سورة الفاتحة أعظم سورة في كتاب الله واعتبار سورة البقرة سنام القرآن، وسورة الإخلاص تعادل ثلث القرآن، وهذا إنما يكون بالنظر لمعاني هذه السور بالنسبة لمعاني القرآن كله.

وقال ابن عاشور في بيان ما تضمنته سورة الفاتحة "القصد من القرآن، بلاغ مقاصده الأصلية، وهي صلاح الدارين وذلك يحصل بالأوامر والنواهي ولما توقفت الأوامر والنواهي على معرفة الأمر وأنه الله الواجب وجوده خالق الخلق لزم تحقيق معنى الصفات ولما توقف تمام الامتثال على الرجاء في الثواب والخوف من العقاب لزم تحقيق الوعد والوعيد، والفاتحة مشتملة على هذه الأنواع"[3].

وقال الألوسي في بيان ما جمعته سورة البقرة" والسورة الكريمة لكونها سنام القرآن ذكر فيها كليات الأحكام الدينية من الصيام والحج والصلاة والجهاد على نمط عجيب"[4].

الوجه الثاني: المعاني الكلية:

والمقصود بالمعاني الكلية هو ما يرد في القرآن من الألفاظ التي يطرد أو يغلب معناها في جميع القرآن، فيستعملها القرآن بمعنى واحد غالبا، وهذا ما يسمى بكليات القرآن.

---

[1]– السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص425.

[2]– ابن عاشور، التحوير والتنوير (8/1).

[3]– المرجع نفسه، (75/1).

[4]– الألوسي، روح المعاني تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، ج2، ص162.

قال شيخ الإسلام: "إذا كان في وجوب شيء نزاع بين العلماء، ولفظ الشارع قد أطرد في معنى، لم يجز أن ينقض الأصل المعروف من كلام الله تعالى ورسوله بقوله فيه نزاع"[1].

ومن أمثلة ذلك معنى النكاح فإن المراد به في القرآن العقد، قال الزمخشري في بيان المراد بالنكاح في قوله تعالى: "الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة" النور (03)، "قيل المراد بالنكاح الولاء، وليس بقوله الأمرين؛ أحدهما: أن هذه الكلمة أينما وردت في القرآن لا ترد إلا في معنى العقد...[2].

فنجد أن الزمخشري قد بين معنى النكاح معتمدا على سياق القرآن في لفظ استعمال النكاح.

ومن الأمثلة ما ذكره الشنقيطي في معنى الغلبة قال: "والغالب في القرآن هو استعمال الغلبة بالسيف والسنان"[3].

الوجه الثالث: الأساليب المطردة:

والمقصود بالأساليب المطردة هو ما يستعمله القرآن في الأساليب ويطرد في القرآن كله، وهذا ما يسمى بعادة القرآن.

ومن أمثلة ما ذكره ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**والذين اتقوا يوم القيامة**﴾ البقرة (212) فقال: وقوله: "والذين اتقوا فوقهم" أريد من الذين اتقوا المؤمنون الذين سخر منهم الذين كفروا؛ لأن أولئك المؤمنين كانوا متقين... ولكنه لم يكن بالاسم الذي سبق أعني "الذين آمنوا" لقصد التنبيه على مزية التقوى وكونها سبب عظيم في هذه الفوقية، على عادة القرآن في انتهاز فرص الهدى والإرشاد ليفيد فضل المؤمنين على الذين كفروا، وينبه المؤمنين على وجوب التقوى لتكون سبب تفوقهم على الذين كفروا يوم القيامة وأما المؤمنين غير المتقين فليس من غرض القرآن أن يعبأ بذكر حالهم ليكونوا دوما بين شدة الخوف وقليل الرجاء، وهذه عادة القرآن في مثل هذا المقام"[4].

وقال أيضا في قصة ذي القرنين: "ولم يتجاوز القرآن ذكر هذا الرجل فأكثر من لقبه المشتهر به إلى تعيين اسمه وبلاده وقومه، لأن ذلك من شؤون أهل التاريخ والقصص وليس

---

[1]– ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج7، ص35.

[2]– الزمخشري، الكشاف، ج3، ص207.

[3]– الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج3، ص376.

[4]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص240.

من أغراض القرآن، فكان منه الاقتصار على ما يفيد الأمة من هذه القصة عبرة حكمية أو خلقية فلذلك قال الله تعالى: ﴿**قل سأتلو عليكم منه ذكرا**﴾ الكهف (83)[1].

المطلب الثاني: سياق السورة:

من أعظم دلائل الإعجاز في هذا القرآن العظيم، أنه بني على سور متفرقة لكنها منتظمة في بناء واحد محكم، وكل سورة منها وحدة متكاملة متناسقة، يجمعها غرض واحد يسمى بوحدة السورة أو سياقها.

ووحدة السورة أو سياقها العام هو الذي يطلع القارئ على مضمون السورة كلها، ولو تدير القارئ وتفحص وتبصر في سورة واحدة لرأى قرآنا عجبا بما يستجلى له من ترابط السورة وقوة بناءها وانتظامها في خيط واحد، وكيف لا يكون ذلك وهو كلام رب العالمين الذي أتقن كل شيء[2].

قال البقاعي: "إن معرفة من سبب الآيات في جميع القرآن مترتبة على معرفة الغرض أو الأغراض التي سيقت لها السورة[3].

وحين نرى العناية بهذا العلم العظيم نرى أن كثيرا من المفسرين أغفلوه ولم يلقوا بالا مع أنه من أعظم ما يعين على فهم كتاب الله تعالى.

وممن عنى بهذا المجال شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم اللذان أبدعا في تفسير كتاب الله تعالى واستخراج دقائقه فنرى مثلا شيخ الإسلام يبرز وحدة سورة البقرة ويحدد سياقها وغرضها العام فيقول: "وقد ذكرت في موضع ما، ما اشتملت عليه سورة البقرة من تقرير أصول العلم وقواعد الدين"[4].

ويبين سياق سورة الأحزاب وغرضها العام، فيرى أنها تتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم في نصرة الله له وهزيمة الأحزاب الذين تحزبوا عليه وذكر خصائصه وحقوقه، ولهذا افتتحت بندائه بقوله تعالى: "يا أيها النبي"، قال: "وهي سورة تضمنت ذكر هذه الغزاة التي نصر الله فيها عبده وأعز فيها جنده المؤمنين وهزم الأحزاب الذين تحزبوا عليه وحده

---

[1]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج8، ص421.

[2]– أمال السيد محمد الأمين، أنواع السياق في القرآن الكريم، دراسة تفسيرية موضوعية، مجلة جامعة الناصر، مجلة أسبوعية، جامعة الملك خالد، السعودية، العدد7، يناير، يونيو، 2016.، ص102.

[3]– البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي القاهرة، 1404هـ، 1984م، ص17.

[4]– ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (41/14).

بغير قتال بل بثبات المؤمنين بإزاء عدوهم وذكر فيها خصائص رسول الله وحقوقه وحرمته وحرمة أهل بيته لما كان هو القلب الذي نصره الله فيها بغير قتال"[1].

ونرى أيضا "ابن القيم" الذي كان بارعا في استخراج دقائق القرآن وأسراره، يبين سياق سورة التحريم وأنها في بيان مقام النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه وتحذيرهن من التظاهر عليه ولهذا افتتحت بندائها بقوله تعالى: "يا أيها النبي"، قال: "في هذه الأمثال من أسرار البديعة ما يناسب سياق السورة، فإنها سيقت في ذكر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، والتحذير من تظاهرهن عليه، وأنهن لإن لم يطعن الله ورسوله ويردن الدار الآخرة لم ينفعهن اتصالهن برسول الله صلى الله عليه وسلم كما لم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالها بهما"[2].

ومن أشهر من تناول هذا العلم من السياق وبرع فيه صاحب كتاب (النبأ العظيم) محمد دراز، وصاحب الضلال سيد قطب قد حملا رايته وأبدعا فيه.

أما "محمد دراز" فقد أبدع في دراسته لسورة البقرة واستكشف غرضها، ويقول في مقدمته: " لو عمدن إلى سورة من تلك السور التي تتناول أكثر من معنى، وما أكثرها، وتتبعناها مرحلة بمرحلة وتدبرناها كيف بدأت، وكيف ختمت، وكيف تقابلت أوضاعها لوجدنا ائتلافا وتناسبا بين المعاني والمباني، ولبدت لنا السورة وكأنها نزلت في نجم واحد"[3].

وقال أيضا: "إنك تقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثا من المعاني حشيت حشوا، وأوزاعا من المباني دمجت عفوا، فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقتصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزاءها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بناء واحد قد وضع رسمه مرة واحدة... ولماذا نقول أن هذه المعاني تتسق في السورة كما تتسق في الحجرات في البنيان؟ لابل أنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان... ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها

---

[1]– ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (433/28).

[2]– ابن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن، ص57.

[3]– عبد الله دراز، النبأ العظيم، تح: عبد الحميد الدخاخني، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1: المملكة العربية السعودية الرياض، 1417هـ، 1997م، ص144.

غرضا خاصا، كما يأخذ الجسم قواما واحدا، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية"[1].

أما "سيد قطب" فقد سلك هذا المسلك في تفسير الضلال، وجعل منه منهجه أن يقدم بين يدي كل سورة بوحدتها الموضوعية وسياقها العان، ولعلنا نعرض لمثال واحد من ذلك، يقول في أول كلامه عن سورة البقرة: "يلحظ من يعيش في ظلال القرآن أن لكل سورة من سورة شخصية متميزة، شخصية لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حي مميز الملامح والسمات والأنفاس، ولها موضوع رئيسي أو عدة مواضيع رئيسية مشدودة إلى محور خاص، وهذا طابع في سورة القرآن جميعا، ولا يشد عن هذه القاعدة طوال السور كهذه السورة"[2].

ويدخل في سياق السورة الاستدلال بما غلب وروده في السورة كلها ومن أمثلة ذلك:

ما ذكره "ابن جرير" في ترجيع ما ورد من القراءات في قوله تعالى: "سلام على آل ياسين" الصافات (130)، ووردت قراءة بلفظ "آل ياسين"[3] فرجح الأولى بدلالة سياق السورة فقال: "والصواب من القراءة في ذلك عندنا: قراءة من قرأ "سلام على آل ياسين" بكسر ألفاظها، على مثال الدارسين لأن الله تعالى ذكره أنما أخبر عنه كل موضوع ذكر فيه نبي من أنبياءه – صلوات الله عليهم– في هذه السورة بأن عليه لا على آله، فكذلك السلام في هذا الموضوع ينبغي أن يكون على إلياس كسلامه على غيره من أنبياءه على آله[4].

المطلب الثالث: سياق النص:

سياق النص يأتي كجزء ووحدة من جملة السورة، يكون موضوعه واحدا وغرضه واحد، لكنه يتناسق ويتناسب مع وحدة السورة العام، ويظهر النص غالبا في سياق القصص، وبعض التشريعات، والموضوعات، كقصة آدم، وآيات بني إسرائيل، وآيات القبلة في سورة البقرة.

ولو تدبرت كل سورة لوجدتها تتجزأ إلى عدة مقاطع كل مقطع يتضمن غرضا مستقلا، وقد تجلى ذلك في دراستي لسورة البقرة.

---

[1]– عبد الله دراز، النبأ العظيم ، ص154، 155.

[2]– سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الأصول العلمية، ط31، 2019، ج1، 27 .

[3]– التيسير العجيب في تفسير الغريب ، ابن المنير، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1994، ص187.

[4]– ابن جرير، الطبري، جامع البيان، ج10، ص 523 .

ومن أمثلة ذلك آيات النفقة والربا والمداينات في سورة البقرة كل موضوع جاء لغرض، وقد اجتمعت كلها في غرض واحد وسياق واحد هو حفظ الأموال وبناء النظام الاقتصادي للأمة.

قال ابن عاشور: "نظم القرآن أهم أصول حفظ مال الأمة في سلك هاته الآيات، فتبدأ بأعظم تلك الأصول وهو تأسيس مال للأمة به قوام أمرها"[1].

وقال صاحب الضلال: "منذ الآن إلى قرب نهاية السورة يتعرض السياق لإقامة قواعد النظام الاقتصادي الاجتماعي الذي يريد أن يقوم عليها المجتمع المسلم، وأن تنظم بها حياة الجماعة المسلمة"[2].

ومن أمثلة ذلك أيضا الآيتان في ختام سورة البقرة التي تمثل خواتيم سورة البقرة، وقد جاءتنا كنتيجة لما ورد في السورة من الأحكام والتشريع، والدليل على تحقق الغرض التي سيقت السورة لأجله.

قال الزجاج: "لما ذكر الله عز وجل فرض الصلاة والزكاة والطلاق والحيض والإيلاء والجهاد وأقاصيص الأنبياء والدين والربا ختم السورة بذكر تعظيمه وذكر تصديق نبيه والمؤمنين بجميع ذلك" فقال: "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون"[3] البقرة 285.

المطلب الرابع: سياق الآية:

كل آية في كتاب الله تعالى تحمل غرضا مستقلا، وإلا فما سر هذه الفواصل بين الآيات، وقد تجلى ذلك في دراستي لسورة البقرة، فرأيت أن لكل آية لها غرض قد تشترك فيه مع سابقتها أو لاحقتها لكنها تختص بجانب منه.

وقد تناول المفسرون هذا النوع كثيرا في بيانهم لتفسير كلام الله والترجيح بين المعاني فيه، ومن على الأمثلة في ذلك:

ما ذكره المفسرون في المراد بالإحصان في قوله تعالى: ﴿**فإذا أحصن فإن اثنين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب**﴾ النساء (25).

فقد رجح ابن كثير والشنقيطي أن المراد بالإحصان في الآية التزويج لدلالة السياق.

---

[1]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، (78/3).

[2]– سيد قطب، في ظلال القرآن، (304/1).

[3]– ابن السري الزجاج/ معاني القرآن وأعرابه، تح: عبد الجليل عبده مثلبي، ط1، 1408هـ، 1988م، ص368.

قال ابن كثير والأظهر –والله أعلم– أن المراد بالإحصان هاهنا هو التزوج، لأن سياق الآية يدل عليه، حيث يقول الله تعالى: "ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات" النساء: 25، والآية الكريمة سياقها في تعيين أن المراد بقوله تعالى: "فإذا أحصن أي تزوجن كما فسره ابن عباس ومن تبعه"[1].

وقال الشنقيطي: قوله تعالى: "فإذا أحصن الإسلام خلاف الظاهر من سياق الآية، لأن سياق الآية في الفتيات المؤمنات حيث قال: "ومن لم يستطع منكم طولا"[2].

ومن الأمثلة في تعيين غرض الآية:

قوله تعالى: ﴿**مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم**﴾ البقرة (261)، غرض هذه الآية هو بيان شرف النفقة ومضاعفة أجرها، تحريضها على الإنفاق في سبيل الله تعالى.

قال ابن عطية: هذه الآية لفظها بيان مثل بشرف النفقة في سبيل الله وبحسنها، وضمنها التحريض على ذلك"[3].

قوله تعالى: ﴿**الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون**﴾ البقرة (262).

غرض الآية هو بيان صفة النفقة المضاعفة والتحذير من مبطلاتها.

قال ابن القيم: "هذا بيان القرض الحسن ما هو؟ وأن يكون في سبيله أي في مرضاته، والطريق الموصلة إليه، ومن أنفقها الجهاد، وأن لا يتبع صدقته بمن ولا أذى"[4].

---

[1]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، 1999/1420، ج1/ص631.

[2]– الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن مجمع الفقه الإسلامي، جدة ، ج12، ص280.

[3]– ابن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422 هـ ، ج1، ص355.

[4]– ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين وباب السعادتين، تح: محمد أجمل الاصلاحي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ص541.

هذه هي أنواع السياق القرآني، وهي بمجموعتها تنبئك عن عظمة القرآن في ترابطه وبناءه وأحكامه وتطلعك على منهج عظيم لدراسة القرآن العظيم وتفسيره، وقد سلكت هذا المنهج – بحمد الله وتوفيقه– في دراستي لبعض آيات القرآن الكريم فله الحمد أولا وآخرا.

الفصل الثاني:

السياق أنماطه وتطبيقاته في الخطاب القرآني

المبحث الأول: أثر سياقات النص القرآني في فهم النص.

المطلب الأول: أسباب النزول

تمهيد:

إن الصحابة رضي الله عنهم في حياتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قد يقع بينهم حادث خاص يحتاج إلى شريعة الله تعالى فيه، أو يلتبس عليه أمر فيسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه لمعرفة حكم الإسلام فيه، فينزل القرآن الكريم لذلك الحادث، ولهذا السؤال الطارئ، ومثل هذا يعرف بأسباب النزول، وقد اعتنى الباحثون في علم القرآن بمعرفة سبب النزول، ولمسوا شدة الحاجة إليه في تفسير القرآن واشتغل جماعة منه بالتأليف ومن أشهرهم: "علي بن المديني" ، "شيخ البخاري"، والواحدي تلميذ "الشيخ الثعلبي" ثم شيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ ابن حجر والإمام السيوطي وغيرهم.

- تعريف النزول لغة واصطلاحا:

أ- النُّزول لغة: مصدر نَزَلَ يَنْزِلُ نُزُولًا، وهو الحلول، والانحطاط من أعلى، قال الراغب: (النزول في الأصل: هو الانحطاط من علو، يقال: نزل عن دابته، ونزل في مكان كذا حط رحله فيه، وأنزله غيره)[1]. فقد يراد به الانحطاط من أعلى، وقد يراد به الحلول بالمكان.

ب- النزول اصطلاحا: التحرك من أعلى إلى أدنى على سبيل الاتساع في المعنى.

- تعريف سبب النزول اصطلاحا:

بعد أن عرفنا سبب النزول في جزئية نعرفه كمصطلح يطلق على علم بذاته:

- عرفه السيوطي فقال: (والذي يتحرر في سبب النزول أنه: ما نزلت الآية أيام وقوعه)[2].

- وعرفه "الزرقاني" فقال: (سبب النزول هو: ما نزلت الآية، أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه)[3].

---

[1]- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية (دمشق، بيروت)، ط1، 1212هـ، ص799.

[2]- جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج1/ص16 .

[3]- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ط1، 1996م، ج1/ص106 .

– وقال "القطان": (ولذا يعرف سبب النزول بما يأتي: "هو ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال)[1]، وهو الذي نميل إليه ونختاره، وشرحه كما يلي: فقوله (بشأنه) يخرج ما نزل ابتداء من غير سبب.

وهو علم يبحث فيه سبب نزول سورة، أو آية، أو وقتها ومكانها، وغير ذلك، ومباديه ومقدماته مشهورة منقولة عن السلف[2].

إنه قد واقعة أو تحدث حادثة فتنزل آية أو آيات قرآنية في شأن تلك الحادثة أو الواقعة فيسمي هذا سبب النزول أو أنه يعرض سؤال عن الرسول صلى الله عليه وسلم بقصد معرفة حكم شرعي أو أمر من أمور الدين في ذلك فتنزل آية أو آيات قرآنية فهذا يسمى بسبب النزول[3].

سواء كانت هذه الحادثة خصومة دبت كالخلاف الذي شجر بين جماعة من الأوس وجماعة من الخزرج بدسيسة من أعداء الله اليهود حتى تنادوا: السلاح السلاح ونزل بسببه تلك الآيات الحكيمة من سورة آل عمران من أول قوله سبحانه : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ**﴾ سورة آل عمران الآية 100.

إلى آيات أخرى بعدها هي من أروع ما ينفر من الانقسام والشقاق ويرغب في المحبة والوحدة والاتفاق. أم كانت تلك الحادثة خطأ فاحشا ارتكب كذلك السكران الذي أم الناس في صلاته وهو في نشوته ثم قرأ السورة بعد الفاتحة فقال: "قل يا أيها الكافرون" "أعبد ما تعبدون" وحذف لفظ "لا" من (لا أعبد) فنزل الآية : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ**﴾ سورة النساء الآية 43.

أم كانت تلك الحادثة تمنيا من التمنيات ورغبة من الرغبات كمرافقات عمر رضي الله عنه التي أفردها بعضهم بالتأليف ومن أمثلتها ما أخرجه البخاري وغيره عن أنس رضي الله

---

[1]– لمناع بن خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، د/ب، ط/ 1424، 3هـ، 2000م، ص78.

[2]– الحاجي خليفة، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، دارالفكر،بيروت،1406،ج1،ص76

[3]– الزرقاني، مناهل في علوم القرآن، ج1/ص89.99 .

عنه قال: قال عمر: ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾ البقرة 125، وقلت يا رسول الله: إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يتحجبن فنزل آية الحجاب[1].

واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه في الغيرة فقت لهن: "عسى ربه إن طلقتكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن" فنزلت كذلك وهذه في سورة التحريم.

وسواء أكان ذلك السؤال المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم يتصل بأمر مضى نحو قوله سبحانه في سورة الكهف: ﴿**ويسألونك عن ذي القرنين**﴾ أم يتصل بحاضر نحو قوله تعالى في سورة الإسراء: "ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" أم يتصل بمستقبل نحو قوله جل ذكره في سورة النازعات: ﴿**ويسألونك عن الساعة أيان مرساها**﴾.

والمراد بقولنا أيام وقوعه الظروف التي ينزل القرآن فيها متحدثا عن ذلك السبب سواء أوقع هذا النزول عقب سببه مباشرة أم تأخر عنه مدة لحكمة من الحكم كما حدث ذلك حين سألت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين، فقال صلى الله عليه وسلم "غدا أخبركم" ولم يستثب أي لم يقل إلا ان شاء الله فأبطأ عليه الوحي خمسة عشرة يوما على ما رواه ابن اسحاق وقيل ثلاثة أيام وقيل أربعين يوما حتى شق عليه ذلك. ثم نزلت أجوبة تلك المقترحات وفي طيها يرشد الله تعالى رسوله إلى أدب الاستثناء بالمشيئة ويقول له في سورة الكهف: ﴿**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (24)**﴾ سورة الكهف.

ثم إن كلمة أيام وقوعه في تعريف سبب النزول قيد لابد منه للاحتراز عن الآية أو الآيات التي تنزل ابتداء من غير سبب بينما هي تتحدث عن بعض الوقائع والأحوال الماضية أو المستقبلية كبعض قصص الأنبياء السابقين وأممهم كالحديث عن الساعة وما يتصل بها وهو كثير في القرآن الكريم[2].

---

[1]- أخرجه الإمام أحمد في مسنده، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2001م ، ج1/ص232.

[2]- الزرقاني، ماهل الفرقان في علوم القرآن، ج1/ص109- 110.

علم أسباب النزول وصيغ وطرق معرفته:

أولا: صيغ أسباب النزول: تعتمد صيغ الروايات المتعلقة في بيان سبب النزول على عبارة الراوي تصريحا بالنص أو ما يحتمل السبب وسواه[1].

1- ما كان نصا صريحا في السببية وله صورتان:

أن يقول الراوي: سبب نزول هذه الآية كذا[2]، فيصرح بلقط السبب كما في قوله تعالى: **﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾** سورة المائدة 83.

فعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية في النجاشي[3]: (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع)[4].

أو أن يأتي الراوي بفاء تعقيبه داخلة على مادة النزول بعد ذكر حادثة أو سؤال، كما في هذه الرواية (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد: ألم تسمع ما قال أبو حباب؟ يريد عبد الله بن أبي، قال كذا وكذا، فقال سعد بن عبادة: اعف عنه واصفح، فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكار رسول الله صلى الله عليه وسلم يعفون عن أهل الكتاب والمشركين فأنزل[5] الله عز وجل ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ البقرة 109.

أو سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن كذا فنزلت الآية كمال في قوله تعالى: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾** الإسراء 85.

روى عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة، وهو متكأ على عسيب، قال: فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض: سألوه عن الروح، قال بعضهم: لا تسألوه، فسألوه عن الروح، فقالوا: يا

---

[1]- صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط10، 1977م، ص141.

[2]- خالد بن سليمان المزيني، المحرر في أسباب نزول القرآن (من خلال الكتب التسعة)، دراسة الأسباب رواية ودراية، دار ابن الجوزي، ج 1/ص115.

[3]- الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج1/ص258.

[4]- النسائي، السنن الكبرى، دار السلام، الرياض، 1400هـ، د1/ص5 .

[5]- النسائي، السنن الكبرى، ص5 .

محمد ما الروح؟ فقام، فتوكأ على العسب، فقال: فطننت أنه يوحي إليه، فقال: **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾** الإسراء 85، قال، فقال بعضهم: قد قلنا لكم: لا تسألوه[1].

2- ما كان محتملا لسببية ولأمر آخر وهو بيان ما تضمنته الآية في كذا، أو يقول: أحسب هذه الآية نزلت في كذا، فهذه الصيغة تحتمل السببية وهو أن ما ذكره الراوي داخل معنى الآية[2].

﴿ **وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ النساء 65.

وكما روي عروة بلن الزبير، أن عبد الله بن الزبير، حدثه: أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال الأنصاري: سرح المار يمر، فأبى عليه، فاختصما عند رسول الله صبى الله عليه وسلم فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اسق يا زبير، ثم ارسل الماء إلى جارك" فغضب الأنصاري فقال: يا رسول الله ان كان ابن عمتك؟ فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: " يا زبير، اسق، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر" قال: قال الزبير: والله لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك: ﴿ **وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾النساء 65[3].

ثانيا: طرق معرفة أسباب النزول:

إن الطريق إلى معرفة أسباب النزول هو النقل الصحيح عن الصحابة رضي الله عنهم الذين عاصروا نزول القرآن ووقفوا على أسباب نزوله، وقول الصحابي في شيء من هذا العلم من المرفوع يعد حكما، قال ابن الصلاح[4]: ما قيل من أن تفسير الصحابي حديث

---

[1]- أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج6/ص124.

[2]- لمناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص81.

[3]- أخرجه البخاري، ج3/ص187.

[4]- شمس الدين أبو عبد الله، تذكرة الحفاظ، تح: عبد الرحمان بن يحيى المعلمي، دائرة المعارف العثمانية، 1474هـ، ج4/ص1430.

مسند فإنما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية يخبر به الصحبي أو نحو ذلك[1]، ومن هنا قال الواحدي: "زلا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهد التنزيل ووقف على الأسباب، وبحث عن العلم وجد في الطلب، وقد ورد في الشرع بالوعيد الجاهل ذي العثار في هذا العلم بالنار"[2] وقال الحاكم في علوم الحديث " إذا أخبر الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا، فإنه حديث مسند"[3].

وقال ابن سيرين: سألت عبيدة السلماني عن آية من القرآن فقال: اتق الله سداء ذهب الذين يعلمون فيما أنزل الله من القرآن"[4].

ولهذا ورد الوعيد لمن قال في القرآن أو أسباب نزوله بغير علم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتقول الحديث عني غلا ما علمتم، فإنه من كذب علي متعمدا، فليتبوأ مقعده من النار، ومن كذب في القرآن بغير علم، فليتبوأ مقعده من النار"[5].

وإذا كان الطريق معرفة أسباب النزول النقل الصحيح عن الصحابة رضي الله عنهم فإنه إذا روى سبب النزول عن الصحابي واضح وكانت صيغته صريحة في السببية فهو مقبول، وحكمة حكم الحديث المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لأن قول الصحابي فيما لا مجال للاجتهاد فيه حكمه حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

قال ابن تيمية: "وقد تنازل العلماء في قول الصاحب": نزلت هذه الآية في كذا" هل يجري مجرى المسند – أي المرفوع إلى النبي صلى الله عبيه وسلم – كما لو ذكر السبب أنزلت لأجله، أو يجري مجرى التفسير منه الذي ليس بمسند، فالبخاري يدخله في المسند، وغيره لا يدخله في المسانيد على هذا الاصطلاح كمسند أحمد وغيره، بخلاف ما إذا ذكر سببا نزلت عقبه فإنهم كلهم يدخلون مثل هذا المسند"[6] فالحاصل أن قول الصحابي في سبب

---

[1]– عبد الرحمان الشهرزوري، مقدمة ابن صلاح في علوم الحديث، تح: نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، 1986م، ص50.

[2]– الواحدي، أسباب نزول القرآن ، تح: أحمد صقر، دار الكتب الجديدة، ط1، ص96.

[3]– الحاكم، معرفة علوم الحديث، تح: أحمد بن فارس سلوم، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص149.

[4]– سعيد ابن منصور، سنن سعيد بن منصور، تح: سعد بن عبد الله آل حميد، دار الصميدعي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط1، 1993م، ص: 185/1.

[5]– أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج 4/ص228.

[6]– ابن تيمية، مجموع الفتاوي، ج13/ص182.

سبب النزول إذا كان بصيغة صريحة في السببية فهم في حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا كان بالصيغة المحتملة فهو في حكم الموقوف، وأما قول التابعي في سبب النزول فإن كان بالصيغة فقد عده السيوطي مرفوعا أيضا ولكنه مرسل، وقد يقبل إذا صح المسند إليه.

وكان من أئمة التفسير الأخذين عن الصحابة رضي الله عنهم واعتضد بمرسل آخر ونحو ذلك[1].

نماذج تطبيقية في أسباب النزول:

إذا تأملنا في أسباب تعريف النزول، والفوائد، والحكم المستفادة يتضح لنا أثر أسباب النزول في تفسير القرآن فبعض آيات القرآن الكريم نزلت للإجابة على سؤال، أو حل مشكل، أو بيان حكم حداثة، ومن الصعب على المفسر أن يتمكن من التفسير الصحيح واستنباط الحكم من النص القرآني وإدراك الحكم من الآية قبل أن يعرف سبب نزول الآية، ومعرفة السبب يؤدي إلى الربط بين الآية والواقع الذي كان قائما أثناء ورود النص، وكأن النص جاء كجواب عن واقعة أو كتفسير لحكم، وتوضيح لدلالة[2] وبالنظر في أسباب النزول نجد أن أثرها في تفسير القرآن يتمثل فيما يلي:

– يؤثر في فهم معنى الآية: ومعرفة المراد منها وإزالة الإشكال الوارد عليها قوله تعالى: "ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين" سورة المائدة الآية 93.

هذه الآية استدلت على جماعة من الصحابة – رضي الله عنهم – في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكانوا يرون أن الخمر مباح ويحتجون بالآية، ولكن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عارضهم في ذلك، ورد "ابن عباس" – رضي الله عنهما – عليه بسبب نزول الآية[3]، وهو ما رواه النسائي والدار القطني والحاكم عنه: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى برجل من المهاجرين الأولين وقد شرب، فأمر به أن يجلد فقال لما تجلدني؟ بيني وبينك كتاب الله فقال عمر وأي كتاب الله تجد أن لا أجلدك؟ فقال له أن

---

[1]– السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1/ص209.

[2]– فاروق النبهان، المدخل الى علو القرآن الكريم، دار عالم القرآن، حلب، ط1، 1426هـ، 2005م، ص24.

[3]– عبد الله بن إبراهيم الوهبي (أسباب النزول وأثرها في تفسير القرآن الكريم)، مجلة البحوث الإسلامية، ع: 38، ص184.

الله يقول في كتابه: "ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا" المائدة الآية 93، فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم أتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين، شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وأحدا والخندق والمشاهد، فقال عمر ألا تردون عليه ما يقول؟ فقال "ابن عباس" أن هؤلاء الآيات أنزلت عذرا للماضين وحجة على الباقين فعذر الماضين بأنهم لقو الله قبل أن تحرم عليهم الخمر وحجة على الباقين أن الله عز وجل يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ المائدة الآية 90.

ثم قرأ أيضا الآية الأخرى، فإن كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فإن الله قد نهاه أن يشرب الخمر، فقال عمر – رضي الله عنه –: صدقت، ماذا ترون؟ قال علي – رضي الله عنه – أنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى وعلى المفتري ثمانون جلدة، فأمر به عمر فجلد ثمانين جلدة، (فسبب نزول الآية قد أزال الإشكال عنها، حيث خصها بمن فات من الصحابة وهم يشربون الخمر قبل تحريمها وبه رد ابن عباس على من أخطأ في فهم الآية، فلولا سبب النزول لبقي هؤلاء على خطئهم حيث فهموا من الآية العموم)[1].

ولولا بيان سبب النزول لظل الناس إلى يومنا هذا يبيحون تناول المسكرات وشرب الخمور أخذا بظاهر الآية.

– ويمثل لذلك بقوله أيضا بقوله تعالى: ﴿ **لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ آل عمران الآية 188، فقد أخرج البخاري: أن مروان قال لبوابه: (اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل إمرئ منا فرح بما أوتي، وأحب أن يحمد بما لم يفعل يعذب، لنعذبن أجمعون، فقال ابن عباس: مالكم ولهذه الآية؟ إنما نزلت في أهل الكتاب، ثم تلا: "وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب" آل عمران 187 ، الآية قال ابن عباس: سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه إياه وأخذوا بغيره، فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أوتوا من كتمان ما سألهم عنه[2].

---

[1]– عبد الله بن إبراهيم الوهبي، أسباب النزول وأثرها في تفسير القرآن الكريم، ص185.

[2]– صحيح البخاري، كتاب التفسير، ص40.

فمعرفة سبب النزول أزال الإشكال الذي كان فهمه مروان وبين المراد بالآية.

– وقد يمثل له بقوله تعالى: ﴿ **وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ البقرة الآية 189.

أخرج البخاري ومسلم عن البراء بن عازب – رضي الله عنه – قال: (نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حجوا فجاؤوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه، فكأنه عير بذلك فنزلت هذه الآية)[1]، (فالقارئ لهذه الآية الكريمة يشكل عليه نفي البر في إتيان البيوت من الخلف لأنه لا يعرف أن أحدا يرى إتيان البيوت من الخلف برا – أي خيرا – ولكنه إذا رجع إلى سبب النزول وعرف أن الأنصار كانوا إذا حجوا لا يأتون بيوتهم إلا من الخلف، ويرون أن في ذلك برا، وقد عابوا رجلا حج ودخل بيته من بابه، فنزلت هذه الآية تنفي ما اعتقدوه وتثبت أن البر والخير في تقوى الله، لا في الإتيان من ظهورها كما اعتقدوا، بل عليهم أن يأتوا البيوت من أبوابها[2].

فكان لسبب النزول أثر في تفسير الآية، فأزيل الإشكال الذي قد يتبادر إلى الأذهان.

– وكذا يمثل بقوله تعالى: ﴿ **وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا** ﴾ الطلاق الآية 04.

أخرج الحاكم عن أبي بن كعب قال: (لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عدد من عدد النساء قالوا: قد بقي عدد من النساء لم يذكرن: الصغار والكبار، ولا من انقطع عنهن الحيض وذوات الأحمال فأنزل الله عز وجل الآية التي في سورة النساء ﴿ **وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا** ﴾ الطلاق الآية 04.

قال السيوطي: فقد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة حتى قال الظاهرية: بأن الآيسة لا عدة عليها إذا لم ترتب وقد بين ذلك سبب النزول... فعلم بذلك أن الآية خطاب لمن لم يعلم ما حكمهن في العدة وارتاب: هل عليهن عدة أم لا؟ وهل عدتهن كاللاتي في سورة البقرة أو لا؟ فمعنى "أن ارتبتم" أن أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف

[1]– صحيح البخاري، كتاب الحج، ص08، وصحيح مسلم، كتاب التفسير، ج 9/ص23.

[2]– عبد الله بن إبراهيم الوهبي، مجلة البحوث الإسلامية، ص13.

يعتدون فهذا حكمهن[1] (فبين سبب النزول أن المراد أن ارتبتم في حكمهن لا حيضهن كما هو ظاهر الآية[2]، فلولا معرفة سبب نزول الآية لكان تفسيرها ركب حمل على وجه آخر.

يعين على معرفة الحكم التي من أجلها شرع الحكم وذلك أن سبب النزول يحكي الملابسات والظروف والأوضاع التي كان الناس عليها قبل تشريع الحكم فبالرجوع إلى سبب النزول نتعرف على الحكمة التي قصدها الشارع، ومن أمثلة ذلك:

– ما جاء في سبب نزول قوله تعالى: "نساءكم حرث لكم فأتوا حرثكم إن شئتم" البقرة الآية 223.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – أنه قال: (كانت اليهود تقول: إذا جامعها من وراءها جاء الولد أحول، فنزلت ﴿ **نسائكم حرث لكم فأتو حرثكم إن شئتم**﴾ البقرة الآية 223، فبالرجوع إلى سبب نزول الآية تبين الحكمة العظيمة من تشريع هذا الحكم، وقد بينت الآية مدى التيسير على الناس في جماع نسائهم على أي وجه كان مادام في موضوع الحرث، وإبطال لما ألقاه اليهود في أذهان الصحابة من الوهم الباطل[3]، والذي يبين ذلك هو معرفتنا لسبب النزول.

– وكذا بما جاء في سبب النزول قوله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن**﴾ النساء الآية 19.

أخرج البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في سبب نزول الآية أنه قال: (كانوا إذا مات الرجل كان أولياءه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية في ذلك[4].

فبين سبب النزول (رفع الظلم عن النساء، حيث كان الناس في الجاهلية يحرمونهن من الميراث مستغلين ضعفهم وعجزهن، ويضطهدونهن ويسيئون عشرتهن إذا أرادوا التخلص منهن، حتى يفتدين، فحرم الإسلام ذلك إلا إذا أوتين بفاحشة مبينة[5].

---

[1]– النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1411، 1هـ، 1990م، ص534.

[2]– عبد الله بن إبراهيم الوهبي، مجلة البحوث الإسلامية، ص185، 186.

[3]– عبد الله بن إبراهيم الوهبي، مجلة البحوث الإسلامية، ص: 186، 187.

[4]– صحيح البخاري، كتاب التفسير، ص44.

[5]– عبد الله بن إبراهيم الوهبي، مجلة البحوث الإسلامية، ص187.

– ويمثل له أيضا بما جاء في سبب نزول قوله تعالى: ﴿**إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون**﴾ المائدة الآية 90.

أخرج الإمام مسلم عن سعد ابن أبي وقاص – رضي الله عنه – أنه قال: (أتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين فقالوا: تعال نطعمك ونسقيك خمرا، وذلك قبل أن تحرم الخمر، قال: فأتيتهم في حش – والحش البستان – فإذا رأس جزور مشوي عندهم، فقلت: المهاجرون خير من الأنصار قال: فأخذ رجل أحد لحيي الرأس فضربني به فأخرج أنفي، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فأنزل الله عز وجل في – يعني في نفسه– شأن الخمر[1].

فبالرجوع إلى سبب نزول هذه الآية تتبين الحكمة العظيمة من تشريع هذا الحكم ألا وهي تحريم الخمر لأنها تسبب أضرار كثيرة ومفاسد عظيمة، ومن ضمنها ما حدث بين الصحابة من اعتداء بعضهم على بعض لما شربوها، ولولا معرفتنا لسبب النزول ما عرفنا تلك الحكم وتناولتها كتب التفسير.

– يفيدنا في معرفة التدرج في تشريع بعض الأحكام والمراحل التي مرت بها، فالتدرج في تشريع بعض الأحكام قد يكون لطفا بالعباد ومراعاة لتأصل بعض العادات في النفوس، كما أن معرفة هذا مهم للدعاة خصوصا الذين يدعون إلى الإسلام في بلاء الكفر فعليهم أن يتدرجوا معهم في تعليم الإسلام والدعوة إليه وتطبيق تعاليمه[2].

ومن ذلك ما رواه أبو داود، والترمذي، والحاكم، والواحدي وغيرهم عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أنه قال: (اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في البقرة قوله تعالى: ﴿**يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون**﴾ البقرة الآية 219،ى فدعى عمر فقرأت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في النساء قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى" النساء الآية 43، فدعى عمر فقرأت عليه، ثم قال: "اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في المائدة قوله تعالى: ﴿**إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء**

[1]– صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص، ج4/ص1877، رقم 748.

[2]– مجلة البحوث الإسلامية، أسباب النزول وأثرها في تفسير القرآن الكريم، الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، العدد: 38، ص187.

والخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة﴾ المائدة 91، إلى قوله تعالى: **﴿فهل أنتم منتهون﴾** المائدة 91.

فدعى عمر فقرأت عليه فقال: انتهينا انتهينا[1].

فسبب نزول هذه الآيات بين لنا أن تحريم الخمر كان من التدريج، فالآية التي من سورة البقرة بينت أن إثم الخمر أكبر من نفعها ولم تحرمها، فالعاقل يدرك من هذا أن ما كان إثمه أكبر من نفعه فالأولى تركه.

ثم نزلت الآية من سورة النساء تنهى عن قربان الصلاة في حالة السكر وفي هذا تقليل لأوقات شرب الخمر، وتعويدا للمسلمين على تركها في بعض الأوقات، ثم نزلت آيتا المائدة فحرمتها قال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (91)﴾** سورة المائدة الآية 90، 91.

فالاستفهام انكاري بمعنى النهي أي انتهوا، لذا لما قرأت على عمر – رضي الله عنه – قال: انتهينا انتهينا.

وبعد نزول هاتين الآيتين أراق الصحابة الخمر في الطرق وكسروا دنانها وانهوا منها، وفي التدريج في تحريم الخمر لطف من الله بعباده حيث لم يفاجئه بالتحريم من أول لحظة لشيء كانوا يحبونه ومتعلقين به.

وفي هذا درس للدعاة أن يتعلموا من منهج الله في تشريع الأحكام حيث راعى شعور الناس وما ألفوه من العادات فلم يحرم ذلك دفعة، لئلا يؤدي إلى نفورهم أو حرجهم، وإنما تدرج معهم في ذلك، فقد بقي الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة عشرة سنين تنزل عليه الآيات التشريعية بالتدرج حتى أكمل الله للمؤمنين دينهم وأتم عليهم نعمته[2].

– يعين على معرفة اسم من نزلت فيه الآية: وفي هذا تعيين المبهم[3] ومن أمثلته:

---

[1]– سنن أبي داود، كتاب الأشربة (باب في التحريم والخمر) رقم 3670، سنن الترمذي، كتاب التفسير، ص253، المستدرك، كتاب التفسير، ص305.

[2]– عبد الله بن إبراهيم الوهبي، مجلة البحوث الإسلامية، ص188.

[3]– عبد الله بن إبراهيم الوهبي، مجلة الأبحاث الإسلامية، ص189.

أ- قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ** ﴾ الأحزاب الآية 37.

أخرج البخاري عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – (أن هذه الآية " وتخفي في نفسك ما الله مبديه" نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن الحارث[1].

فإن هذا المنعم عليه زيد ابن الحارث – رضي الله عنه – وقد دلنا على ذلك سبب النزول.

ب- قوله تعالى: "قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير" المجادلة الآية 1.

روى الحاكم عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: (تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى على بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول: يا رسول الله، أكل شبابي ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني وانقطع له ولدي ظهر مني اللهم إني أشكو، قال عائشة: فما برحت حتى نزل جبريل – عليه السلام – بهذه الآيات" قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير" قال: زوجها أوس بن الصامت، قال، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[2].

فسبب النزول بين اسم المجادلة وهي خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت، فمعرفة ذلك تفيدنا في التعرف على الظروف والملابسات التي أحيطت بنزول الآية.

خلاصة القول:

أن أسباب النزول تؤثر في القرآن الكريم من حيث فهم المعنى وإزالة الإشكال وإبراز الحكمة من تشريع بعض الأحكام، وتوضيح المبهم، ومن نزلت فيه الآية فهناك مواقف كثيرة لا تتضح إلا من خلال معرفة سبب النزول[3].

---

[1]- صحيح البخاري، كتاب التفسير، ص117.

[2]- النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، ص523.

[3]- عبد الله بن إبراهيم الوهبي، مجلة البحوث الإسلامية، ص190.

المطلب الثاني: السياق المكاني (المكي والمدني).

تمهيد:

لفظ المكي والمدني ليس لفظا شرعيا حدد النبي صلى الله عليه وسلم مفهومه، بل هو من صنع علماء القرآن والمفسرين، فبعض آياته مكية وبعض آياته مدنية، ولا سبيل لمعرفة المكي والمدني إلا بما ورد عن الصحابة والتابعين في ذلك لأنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم بيان للمكي ولا المدني، وذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان كيف وهم يشاهدون الوحي والتنزيل ويشهدون مكانه وزمانه وأسباب نزوله عيانا.

فالمكي والمدني مصطلحان مشهوران عند السلف والخلف، ولقد اختلفت آراء العلماء في التفريق بينهما، وهذا الاختلاف لم يكن اختلاف تضاد أو تناقض، وإنما كان اختلاف تغاير.

- تعريف المكي والمدني:

تعريف المكي لغة: المكي نسبة إلى مكة المكرمة، قال السمعاني: "المكي بفتح الميم وتشديد الكاف هذه نسبة إلى أشرف بقعة على وجه الأرض ومنزل الأنبياء ومهبط الوحي"[1].

وهي نسبة قياسية، إذ أنه يجري النسب في الاسم المختوم بتاء التأنيث، بحذف التاء المربوطة من آخره وإلحاقه ياء مشددة أو كسر ما قبلها[2]، قال ابن القيم: "وتحذف لياء النسبة تاء التأنيث مطلقا، كانت ثالثة أو أكثر، فنقول في النسب إلى مكة مكي"[3].

تعريف المدني لغة: المدني نسبة إلى المدينة المنورة[4]، قال السمعاني: "أكثر ما ينسب إليها يقال: المدني المدني"[5].

وقال مرتضى الزبيدي: "المدينة اسم مدينة النبي صلى الله عليه وسلم خاصة غلبت عليها تفخيما لها، شرفها الله تعالى وصانها ولها أسماء جمعتها في كراسة... والنسبة إلى

---

[1]- محمد السمعاني، الأنساب، تج: محمد عبد القادر عطا، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ، 1998م، ص: 267/5.

[2]- عبد الله بن هشام الأنصاري، أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك، منشورات المكتبة المصرية، صيدة، بيروت، ص: 332/4.

[3]- برهان الدين إبراهيم، إرشاد السالك الى حل ألفية ابن مالك، تح: محمد بن عوض بن محمد السهلي، مكتبة أضواء السلف، ط1، 1922هـ، 2002م، ص: 940/2..

[4]- ابن منظور، لسان العرب، ص: 403/13.

[5]- محمد السمعاني، الأنساب، ص: 113/5.

مدينة النبي صلى الله عليه وسلم مدني، وربما قيل مدني[1]، والأفصح في النسبة أن يقال: مدني على وزن فعلي[2].

ومن خلال التعريفين السابقين اتضح أن التعريف اللغوي ارتبط بالمعيار بالمكاني.

أما بالنسبة للتعريف الاصطلاحي فقد فرق العلماء بين المكي والمدني حسب اعتبارات ثلاث[3] وهي: الزمان، والمكان، والخطاب كما أضافوا اعتبارا آخر وهو الموضوع[4].

الأول (المكان): قالوا المكي ما نزل بمكة وما جاورها كالمنزل (بمنى وعرفات والحديبة).

والمدني ما نزل بالمدينة وما جاورها كالمنزل (ببدر وأحد وسلع) ولم يسلم هذا الاعتبار من النقد فهناك قرآن نزل في الأسفار بعيدا عن مكة والمدينة مثل القرآن الذي نزل بتبوك أو بيت المقدس أو الطائف أة في السماء فهذا نزل بعيدا عن مكة والمدينة ولا نستطيع أن نعده مكي أو مدني.

الاعتبار الثاني: (الخطاب): قالوا: المكي ما وقع خطابا لأهل مكة والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة وعليه فكل سورة ذكر فيها (يا أيها الذين آمنوا) فهي مدنية لأنها غالب أهل المدينة مؤمنون فخاطبهم سبحانه وتعالى بالصفة الغالبة عليهم وهي الإيمان، أما السور التي ذكر فيها (يا أيها الناس) أو (يا بني آدم) فهي مكية لأنه غالب أهل مكة مشركون ولم يسلم هذا الاعتبار من النقد لأن سورة البقرة مدنية باتفاق وفيها النداء المصدر ب(يا أيها الناس) في موضعين قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21)**﴾ البقرة 21.

وقال أيضا: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ البقرة 168.

---

[1]– عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: علي بشرى، دار الفكر، 1414هـ، 1994م، ج13/ص529.

[2]– ابن جني، اللمع في العربية، تح: حامد المؤمن، علم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط2، 1405هـ، 1985م، ص269.

[3]– الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1/ص187.

[4]– صبحي صالح، مباحث في علوم القرآن، ص181 وما بعدها.

وسورة النساء مدنية باتفاق وفيها: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ النساء 01.

ثم إن سورة الحج مكية وفيها: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ الحج 77.

وكذلك هناك سور خلت من النداء الموجه للمؤمنين أو الناس وهناك سور أخرى كان الخطاب فيها موجها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا فلا يترتب على هذا الاعتبار ثنائية القسمة[1].

الاعتبار الثالث: (الزمان): قالوا المكي هو ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعد الهجرة، وهذا الاعتبار هو الأقوى والأصح عند الجمهور وذلك أنه يترتب عليه ثنائية القسمة، وسلم من أي نقد وينسب على جميع آيات القرآن الكريم.

الاعتبار الرابع: (الموضوع): من خلال الاستقراء الشامل لموضوعات السور المكية والمدنية تمكن العلماء من أن يقفوا على ضوابط ومميزات لكل من المكي والمدني واستطاعوا أن يخرجوا من السور المدنية الآيات المكية ويلحقوها بزمرتها كما استطاعوا أن يخرجوا من السور المكية الآيات المدنية ويلحقوها بزمرتها، ومع أهمية هذا الاعتبار إلا أننا لا نقدمها على اعتبار الزمان وإذ قلنا أن اعتبار الزمان هو الأصح فلا يعني هذا إهمال الاعتبارات الثلاثة الأخرى فجميع هذه الاعتبارات مهمة ومفيدة جدا في مجال التفسير والوقوف على المراحل التي مرت بها الدعوة والاستفادة منها في مجال أساليب الدعوة التي تتناسب مع كل مرحلة.

وقال الدكتور صبحي صالح: "إن معرفة المكي والمدني هو في آن واحد ترتيب زماني وتحديد مكاني وتعيين شخصي وتبويب موضوعي"[2].

---

[1]– صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص167.

[2]– المرجع نفسه، ص167.

نماذج تطبيقية للقرآن المكي والمدني:

- نماذج تطبيقية للقرآن المكي:

سنتناول هنا 3 نماذج للقرآن المكي، النموذج الأول مما نزل من أول العهد المكي وتمثله في سورة العلق، والنموذج الثاني مما نزل في وسط العهد المكي وتمثله سورة عبس والنموذج الثالث مما نزل في آخر العهد المكي وتمثله سورة الإسراء.

النموذج الأول: سورة العلق:

سورة العلق هي أول ما نزل من الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم في غار حراء، وهي إيذان ببدء الرسالة.

يدور محور سورة العلق حول موضوع بدء نزول الوحي على خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، وقد اشتمل التوجيه الإلهي الذي تلقاه النبي في اللحظة الأولى على حقائق أصلية وهي أن الله هو الذي خلق، وهو الذي علم وهو الذي أكرم، ولكن الإنسان في عمومه – لا يستثنى إلا من يعصمه إيمانه – لا يشكر حين يعطى ولا يعرف مصدر النعمة التي أغنته، وهو المصدر الذي أعطاه خلقه وأعطاه علمه... ثم أعطاه رزقه... ثم هو يطفى ويفخر، وينبغي ويتكبر وحين تبرز صورة الإنسان الطاغي الذي نسي نشأته وأبطره الفنى، يجيء التعقيب بالتهديد: (إن إلى ربك الرجعى)[1].

- أغراض السورة: من أهم أغراضها[2]:

* تلقين محمد صلى الله عليه وسلم الكلام القرآني وتلاوته، إذا كان لا يعرف التلاوة من قبل، قال الله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ العلق 01.

* الإشارة إلى أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ستصير إلى معرفة القراءة والكتابة والعلم، قال الله تعالى: ﴿**عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ العلق 05.

* التوجيه إلى النظر في خلق الله الموجودات، وخاصة خلقه الإنسان خلقا عجيبا مستخرجا من علقة، قال الله تعالى: ﴿**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ**﴾ العلق 03.

* تهديد من كذب النبي صلى الله عليه وسلم وتعرض ليصده عن الصلاة والدعوة إلى الهدى والتقوى، قال الله تعالى: ﴿**أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (9) عَبْدًا إِذَا صَلَّى** ﴾ العلق 9، 10.

---

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ص: 3941، 3942.

[2]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30/ص434.

*إعلام النبي صلى الله عليه وسلم أن الله علم بأمر ما يناوؤونه وأنه قامعهم وخاصر رسوله، قال الله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (14)** ﴾ العلق 14.

* تثبيت الرسول على ما جاءه من الحق والصلاة والتقرب إلى الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿**كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (19)**﴾ العلق 19.

- النموذج الثاني: سورة عبس:

يدور المحور الرئيسي للسورة حول الرسالة ودلائل القدرة والوحدانية في خلق الإنسان، والنبات والطعام، كما تتحدث عن القيامة وأهوالها[1].

- أغراض السورة: من أهم أغراضها[2]:

* تعليم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم الموازنة بين مراتب المصالح ووجوب الاستقراء لخفياتها كي لا يفوت الاهتمام بالمهم منها مهما آخر مساويا في الأهمية أو أرجح.

* أن المؤمن المقبل على الداعية أولى بالعناية من المشرك المدبر عنه، قال الله تعالى: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى** ﴾ عبس: 1، 10.

* التذكير بإكرام المؤمنين وسمو درجتهم عند الله تعالى.

* الثناء على القرآن الكريم وتعليمه لمن رغب في علمه، قال الله تعالى: ﴿**فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ** ﴾ عبس 12، 13.

* الاستدلال على ‘ثبات البعث، فاستدل عليهم بالخلق الذي خلقه، قال الله تعالى: ﴿**كِرَامٍ بَرَرَةٍ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ** ﴾ سورة عبس 17، 20.

واستدل بعده بإخراج النبات والأشجار من الأرض الميتة ، قال الله تعالى: ﴿**مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا**

---

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ص3822.

[2]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30/ ص102.

فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ عبس 18، 32.

* الإنذار بحلول الساعة والتحذير من أهوالها وبما يعقبها من ثواب للمتقين وعقاب للجاحدين، قال الله تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ** ﴾ عبس،33، 37.

* التنويه بصفاء المؤمنين وعلو قدرهم، وأنهم أعظم عند الله من أصحاب الفنى، أصحاب الكفر والفجور الذين فقدوا طهارة النفس، قال الله تعالى﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (38) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ** ﴾عبس 38، 42.

- النموذج الثالث: سورة الإسراء:

المحور الرئيسي الذي تدور حوله آيات الإسراء هو شخص الرسول صلى الله عليه وسلم وما أيده الله به من المعجزات الجاهرة على صدقه عليه السلام وإثبات أن القرآن وحي من عند الله تعالى، وطبيعة هذا القرآن وما يهدي إليه، واستقبال القوم له، واستطرادا بهذه المناسبة إلى طبيعة الرسالة والمرسل، والى تقرير التبعة الفردية في الهدى والضلال الاعتقادي، والتبعة الجماعية في السلوك العلمي في محيط المجتمع... كل ذلك بعد أن يعذر الله سبحانه إلى الناس فيرسل إليهم المرسل بالتبشير والتحذير والبيان والتفصيل[1].

أغراض السورة: تتمثل فيما يلي:

* افتتحت السورة بمعجزة الإسراء التي كانت مظهرا من مظاهر التكريم الإلهي لمحمد صلى الله عليه وسلم بعدما لاقاه من أذى المشركين، قال الله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ الإسراء 01.، وهذه معجزة ليس لها مثيل في تاريخ البشرية ولم تأت عبثا وإنما هدفها تسليم الرسالة التي تناقلها الأنبياء من قبل إلى رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وأمته الذين سيحملون هذه الرسالة الخاتمة إلى يوم القيامة، فليس اليهود أهلا لحمل أمانة السماء بعدما أفسدوا وخربوا.

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ص2208.

* هذه السورة هي أكثر السور ورد فيها لفظ القرآن، فقد ورد لفظ القرآن في السورة أحد عشر مرة، وركزت السورة على قيمة القرآن وعظمته، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا** ﴾ الإسراء 09، وقال الله تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا** ﴾ الإسراء 82.

* إثبات دلائل تفرد الله تعالى بالألوهية، والاستدلال بآية الليل والنهار وما فيها من المنن على إثبات الوحدانية، قال الله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا** ﴾ الإسراء 12.

* التذكير بالنعم التي سخرها الله للناس، وما فيها من الدلائل على تفرده بتدبير الخلق، وما تقتضيه من شكر المنعم وترك شكر غيره، وتنزيهه عن اتخاذ بنات له.

* النهي عن الشرك والتحذير من عواقبه، قال الله تعالى: ﴿**لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا** ﴾ الإسراء 22، وقال الله تعالى: ﴿**ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا** ﴾ الإسراء 39.

* قضاء الله تعالى بعبادته وحده، والإحسان إلى الوالدين، وإيتاء ذي القربى حقه والمسكين وابن السبيل، قال الله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا**﴾ الإسراء 23.

* تحريم البخل والسرف، وقتل الأولاد والزنى، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والاعتداء على مال اليتيم، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (30) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (31) وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (32) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (33) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (34)**﴾ الإسراء 29، 34.

* الأمر بالوفاء بالعهود، والمكاييل والموازين، والتواضع، قال الله تعالى: ﴿**وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (35) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (37)**﴾ الإسراء 35، 37.

* التحذير من نزغ الشيطان وعداوته لآدم وذريته، قال الله تعالى: ﴿**وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (53)**﴾ الإسراء 53.

* إنذار الكفار بعذاب الآخرة، وذكر ما عرض للأمم من أسباب الاستئصال والهلاك بسبب كفره، قال الله تعالى: ﴿**أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (68) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (69)**﴾ **الاسراء 68-69.**

* الحث على إقامة الصلوات في أوقاتها، قال الله تعالى: ﴿**أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (78) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (79)**﴾ الإسراء 78، 79.

* تهديد المشركين بأن الله يوشك أن ينصر الإسلام على باطلهم، قال الله تعالى: ﴿**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (81)**﴾الإسراء 81.

* تعنت المشركين وطلبهم المعجزات المادية من الرسول صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (89) وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (91) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (92) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (93)**﴾ الإسراء 89، 93.

نماذج تطبيقية للقرآن المدني:

سنتناول في هذا الشأن ثلاثة نماذج للقرآن المدني، النموذج الأول مما نزل في أول العهد المدني وتمثله سورة الأنفال، والنموذج الثاني مما نزل في وسط العهد المدني وتمثله سورة النور، والنموذج الثالث مما أنزل في آخر العهد المدني وتمثله سورة التوبة.

النموذج الأول: سورة الأنفال:

المحور الرئيسي الذي تدور حوله آيات سورة الأنفال هو التشريعات الحربية والإرشادات الإلهية التي يجب على المؤمنين اتباعها في قتالهم لأعداء الله كما تناولت جانب السلم والحرب، وأحكام الأسرى والغنائم[1].

أغراض السورة: أهم أغراض سورة الأنفال تتمثل في[2]:

1- بيان أحكام الأنفال والأمر بتقوى الله، وطاعة الله ورسوله في أمر الغنائم وغيرها، وأمر المسلمين بإصلاح ذات بينهم، وأن ذلك من مستلزمات معنى الإيمان الكامل، قال الله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ الأنفال .01

2- ذكر خروج المسلمين إلى غزوة بدر وما لقوا فيها من نصر وتأييد من الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿**أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (5)** ﴾ الأنفال .05

3- الأمر بالاستعداد للحرب (لحرب الأعداء)، قال الله تعالى: و﴿**أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60)** ﴾الأنفال .60

4- الأمر باجتماع الكلمة والنهي عن التنازع، قال الله تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ الأنفال .46

5- ذكر مواقع الجيش، وصفات ما جرى من القتال، قال الله تعالى:﴿ **إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ**

---

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ص1464.

[2]- ابن عاشور، التحرير والتنوير ج9/ ص247.

لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (42) إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (43) ﴾ الأنفال 42، 44.

6- تذكير النبي صلى الله عليه وسلم بنعمة الله عليه إذ أنجاه من مكر المشركين به مكة، وأن مقامه بمكة كان أمانا لأهلها فلما خرج فقد حق عليهم عذاب الدنيا بما افتروا من الصد عن المسجد الحرام، قال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ الأنفال 30، وقال الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾الأنفال 33.

7- بيان أحكام الغنائم، قال الله تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ الأنفال 41.

8- دعوة المسلمين للانتماء من مناواة الإسلام وإيذائهم بالقتال، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (38) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (39)**﴾ الأنفال 38، 39.

9- التحذير من المنافقين، قال الله تعالى: ﴿**يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ الأنفال 49.

10- ضرب الأمثال بالأمم الماضية التي عاندت رسل الله ولم يشكروا نعمة الله، قال الله تعالى: ﴿**كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (52) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (53) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ (54)**﴾ الأنفال 52-54.

11- إحكام العهد بين المسلمين والكفار وما يترتب على نقضهم العهد، قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (56) فَإِمَّا**

تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (57) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (58)﴾ الأنفال 56-58

12- أحكام المسلم، قال الله تعالى: **﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (61)﴾**الأنفال .61

13- أحكام الأسرى، قال الله تعالى: **﴿ا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (67)﴾** الأنفال 67، .71

14- أحكام المسلمين الذين تخلفوا في مكة بعد الهجرة، وولايتهم وما يترتب على تلك الولاية، قال الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (72) ﴾** الأنفال 72.

النموذج الثاني: سورة النور

والمحور الذي تدور حوله السورة كلها هو محور التربية التي تشتد في وسائلها إلى درجة الحدود، وترق إلى درجة اللمسات الوجدانية الرقيقة، التي تصل إلى القلب بنور الله وبآياته المثبوتة في تصانيف الكون، والهدف واحد في الشدة واللين، هو تربية الضمائر واستجاشة المشاعر ورفع المقاييس الأخلاقية للحياة، حتى تشفا وترف، وتتصل بنور الله.

وتتداخل الآداب النفسية الفردية، وآداب البيت والأسرة وآداب الجماعة والقيادة، بوصفها نابعة كلها من معين واحد وهو العقيدة في الله تعالى، متصلة كلها بنور واحد وهو نور الله تعالى، الذي أشرقت به الظلمات في السماوات والأرض، والقلوب والضمائر والنفوس والأرواح[1].

أغراض السورة: أهم أغراض سورة النور تتمثل فيما يلي[2]:

1- بيان حد الزنى، قال الله تعالى: **﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (2) ﴾** النور .02

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ص2486.

[2]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج18/ ص140، 141.

2- بيان حكم القذف، قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (4)**﴾ النور 04.

3- بيان حكم القذف قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (6)**﴾ النور .06

4- التعرض إلى براءة عائشة – رضي الله عنها – مما ادعى عليها أهل النفاق وعقابهم، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11)**﴾ النور .11

5- الزجر عن حب إشاعة الفواحش بين المؤمنين والمؤمنات، قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (20)**﴾ النور .19

6- الأمر بالصفح عن الأذى مع الإشارة إلى قضية مسطح بن أثاثة، قال الله تعالى: ﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (22)**﴾ النور .22

7- أحكام الاستئذان في الدخول إلى بيوت الناس المسكونة، ودخول البيوت غير المسكونة وآداب المسلمين والمسلمات في المخاطبة، وإفشاء السلام، وغض البصر، وحفظ الفروج، قال الله تعالى: ﴿**فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (28) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (29) قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (31)**﴾ النور 27- 31.

8- التحريض على تزويج الأيامى والعبيد والإماء، قال الله تعالى: ﴿**وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ النور .32

9- الأمر بالعفاف لغير القادر على متطلبات الزواج، والتحريض على مكاتبة العبيد، أي إعتاقهم على عوض يدفعونه لمالكيهم، وتحريم البغاء، قال الله تعالى: ﴿**وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ النور .33

10- التنويه ببيوت العبادة والقائمين فيها، قال الله تعالى: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (36) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37)**﴾ النور 36-37.

11- وصف عظمة الله تعالى وبدائع مصنوعاته وما فيها من منن على الناس، قال الله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (42) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (43) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (44) وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (45)**﴾ النور42-45.

12-ذم أحوال أهل النفاق والإشارة إلى سوء صنيعهم مع النبي صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (47) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (48) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (49) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (50)**﴾ النور 47-50.

13- وعد الله بالاستخلاف والتمكين والأمن للمؤمنين، قال الله تعالى: " ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55)**﴾النور 55

14- أحكام الاستئذان على البيوت والأكل من بيوت الأقارب، قال الله تعالى﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (58)**﴾ النور 58 وقال أيضا: ﴿**فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (61)**﴾ النور 61.

النموذج الثالث: سورة التوبة:

للسورة محوران أساسيان، الأول: بيان التشريع الإسلامي في معاملة المشركين وأهل الكتاب، والثاني: إظهار ما كانت عليه النفوس حينما استقر المسلمين لغزو الروم.

قال سيد قطب: "قد تضمنت أحكاما نهائية في العلاقات بين الأمة المسلمة وسائر الأمم في الأرض كما تضمنت تصنيف المجتمع المسلم ذاته، وتحديد قيمه ومقاماته، وأوضاع كل طائفة فيه وكل طبقة من طبقاته"[1].

أغراض السورة: أهم أغراض السورة (سورة التوبة) يتمثل في الآتي:

1- افتتحت السورة بتقرير براءة الله ورسوله من المشركين، ورفع العصمة عن أنفسهم وأموالهم، ومنحهم هدنة مقدارها أربعة أشهر، قال الله تعالى: ﴿**بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (1) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (2)** ﴾ التوبة 1-2.

2- أحكام الوفاء والنكث بالعهود، قال الله تعالى: ﴿**وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (12) أَلَا**

[1]- سيد قطب، في ظلال القرآن، ص1564.

تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (13)﴾ التوبة 12-13.

3- تأمين المستجير حتى يسمع كلام الله، قال الله تعالى: **﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾** التوبة 06.

4- إعلان حالة الحرب بين المسلمين والمشركين، قال الله تعالى: **﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (14)﴾** التوبة 14.

5- منع المشركين من دخول المسجد الحرام وحضور مناسك الحج، قال الله تعالى: **﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (17)﴾** التوبة 17.، وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾**التوبة 28.

6- إعلان الحرب على أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية، وأنهم ليسوا بعيدا من أهل الشرك أن الجميع لا تنقصهم قوتهم ولا أموالهم، قال الله تعالى**﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾** التوبة 38.

7- حرمة الأشهر الحرم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ التوبة 36.

8- تحريض المسلمين على المبادرة بالإجابة إلى النفير للقتال في سبيل الله، وأن الله ناصر من ينصرنه وناصر الذين ينصرونه وتذكيرهم بنصر الله ورسوله يوم حنين، وبنصره إذ أنجاه من كيد المشركين بما ....من الهجرة إلى المدينة، قال الله تعالى: **﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (38) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39)﴾** التوبة38- 39،

وقال الله تعالى: ﴿**انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ التوبة .41

9- الإشارة إلى غزو تبوك، تخلف المنافقين واختلاقهم للأعذار، قال الله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (42)**﴾ التوبة .42

10- ذم المنافقين المتثاقلين والمعتذرين والمستأذنين في التخلق للأعذار، وصفات أهل النفاق من جبن وبخل وحرص على أخذ الصدقات مع أنهم ليسوا بمستحقيها، وذكر أذاهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإيماءهم الكاذبة وأمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف وكذبهم في عهودهم وسخريتهم بضعفاء المؤمنين.

11- بيان مصارف الزكاة والأمر بالغض في الدين ونشر الدعوة، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ التوبة .60

12- أمر الله بجهاد الكفار والمنافقين، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ التوبة .73

13- وصف حالة الأعراب من محسنهم ومسيئهم ومهاجرهم ومتخلفهم، قال الله تعالى: ﴿**وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (98) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ التوبة 98-.99

14- ذكر الذين اتخذوا مسجدا ضرارا عن سوء نية، وفضل مسجد قباء ومسجد الرسول بالمدينة، قال الله تعالى: ﴿**لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (108)**﴾ التوبة 108.

15- التذكير بنصر الله للمؤمنين يوم حنين يعد باسمهم، والتنويه بغزوة تبوك وجيشها، والذين تاب عليهم من المتخلفين عنها.

16- الجهاد وأنه فرض على الكفاية، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾ التوبة .122

17- الامتنان على المسلمين بأن رسل الله فيهم رسولا منهم جبله على صفات فيما جعل خير لهم، قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾التوبة 128.

المطلب الثالث: السياق التداولي: (علاقة التداولية بالخطاب القرآني).

تمهيد:

في العصر الحديث أضاف فلاسفة اللغة الغربيون إلى علم النحو والدلالة التقليديين قسما ثالثا أطلق عليه اسم التداولية وهو يعنى بعلاقة اللغوية لمستعمليها، ويولي أهمية باللغة للعلاقة بين التراكيب النحوية فضلا عن أنه يعنى بالمقام ومن بعيد النظر في هذا المفهوم "الجديد يجد المفسر للقرآن على فقه ممكنا ما هي التداولية؟ وكيف لسياق بيان القرآن وتفسيره؟

أولا: مدخل إلى المفهوم:

لغة: لقد وردت مادة (دول) في مقاييس اللغة على هذين الأصليين" أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى آخر، والآخر يدل على ضعف الاسترخاء، فقال أهل اللغة: أندال القول، إذا تحولوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب، تداول القوم الشيء بينهم إذا صار من بعضهم إلى بعض، والدولة والدولة لفتان، ويقال بل الدولة في المال والدولة في الحرب، وإنما سميا بذلك من قياس الباب، لأنه أمر يتداولونه، فيتحول من هذا إلى ذاك، ومن ذاك إلى هذا"[1].

أما في القاموس المحيط لفيروز أبادي فنجد: "تداولوه: أخذوه بالدول، ودواليك، أي مداولة على الأمر، أو تداول بعد تداول"[2].

وعلى نهج مقاييس اللغة سار صاحب معجم "أساس البلاغة" يقول: "دول دالت له الدولة ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم، جعل الكثرة لهم عليه، وأديل

[1]- ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق وضبط محمد هارون، دار الجيل بيروت، لبنان، ط2، 1991م، ص314/2.

[2]- محمد بن يعقوب، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص900.

المؤمنون على المشركين يوم بدر وأديل المشركون على المسلمين يوم أحد، والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم، والدهر دول وعقب ونوب، وتداول الشيء بينهم والماشي يداول بين قدميه، يراوح بينهما"[1].

إضافة إلى هذا نجد في المصباح المنير: "تداول القوم تداولا وهو حصيلة في يد هذا وتارة وفي يد هذا أخرى، والاسم الدولة بفتح الدال وضمها وجمع المفتوح دول بالكسر مثل قصعة وقصع مثل غرفة وغرف ومنهم من يقول الدولة بالضم في المال وبالفتح في الحرب، ودالت الأيام تدول مثل دارت الأيام تدور وزنا ومعنى"[2].

اصطلاحا:

إن أقرب دقل معرفي إلى التداولية في منظورنا هو "اللسانيات" وإذا كان الأمر كذلك، فإنه من المشروع البحث في صلة هذا العلم التواصلي الجديد باللسانيات وبغير اللسانيات من الحقول المعرفية الأخرى التي يشترك معها في بعض الأسس المعرفية، نظرية كانت أم إجرائية وذلك قبل وضع تعريف التداولية أو تحديد مفهومها ومن ثم نرى أنه من الواجب التساؤل عن المعيار الذي يكون أساس تحديد "مفهوم التداولية" فعلى أي معيار نحدد هذا المفهوم؟ هل نحدده بناء على معيار البنية اللغوية وحدها؟

إن هذا الصنيع يجعلها مساوية اللسانيات البنيوية فلا يكون هناك أي فرق بينهما، وليس هذا ما تقوله البحوث التداولية! هل نحدده على معيار الاستعمال اللغوي وحده؟

إن تحديده على هذا الضابط فيه إقرار بأن لا صلة تذكر بينه وبين البنية اللغوية، وهو ما يخالف أيضا النتائج التي انتهت إليها آخر الأبحاث التداولية، هل نحدده بناء على تعالق البنية اللغوية بمجال استعمالها؟[3].

فالتداولية ليست علما لغويا محضا بالمعنى التقليدي، علما يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، لكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج، ومن ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة "التواصل اللغوي وتفسيره".

---

[1]– الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 303/1.

[2]– أحمد بن محمد بن علي الماقري الفيومي، المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت، ج1، ص204.

[3]– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة بيروت، ط1، جويلية، 2005م، ص15، 16.

وعليه، فإن الحديث عن "التداولية وعن شبكتها المفاهيمية يقتضي الإشارة إلى العلاقات القائمة بينها وبين الحقول المختلفة لأنها تنتمي بانتمائها الو حقول مفاهيمية تضم مستويات متداخلة، كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب والاستدلالات التداولية، والعمليات الذهنية المتحكمة في الإنتاج والفهم اللغويين، وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال[1].

فنحن نرى أن التداولية تمثل حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة منها: الفلسفة التحليلية، ممثلة في فلسفة اللغة العادية ومنها علم النفس المعرفي ممثلا في نظرية الملائمة "theorie de perninemce" على الخصوص، ومنها علوم التواصل ومنها اللسانيات بطبيعة الحال.

يبدو مصطلح التداولية "pragmatique" على درجة الغموض، إذ يقترن به، في اللغة الفرنسية المعنيين التاليين: "محسوس" و" ملائم للحقيقة" وأما "pragmatic" في الإنجليزية تدل في الغالب على "ماله علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية".

إن الحقل الذي فتح هذا الاختصاص العلمي المسمى تداولية ويعتبر هذا العلم ضخما وغامضا، حيث توضع فيه الأعمال الهامشية التي لا تنتمي إلى الاختصاصات المؤسسية، وهي اللسانيات وعلم الاجتماع والأنتروبولوجيا، وعلم النفس الاجتماعي والدلائلية، نحو المشاكل التي أثارتها هذه الاختصاصات، ولو تتوصل إلى معالجتها بشكل مرضي، ومن بين الأعلام الممثلين للتداولية المذكورين هما: "الفيلسوف أوستن"Austin وسورل Searl، وعالم اجتماع غوفمان (Goffman)، ونجد أيضا العالم المختص في اللسانيات الاجتماعية الأنتروبولوجية هو غامبرز[2].

تعنى التداولية بوصف العلاقات القائمة بين المرسل والمرسل إليه في إطار عملية التواصل، كما تعنى بالحدث اللغوي بوصفه تعابير مدرجة في عملية التخاطب، وكل هذا يفرض مسبقا وجود الأبعاد التركيبية والدلالية العلمية السينمائية، فالأهم من عملية الاتصال

[1]– مسعود صحراوي ،ابتداولية عند علماء العرب ،ص15، 16

[2]– فيليب بلانشيه، التداولية مع " أوستن إلى غوفمان"، تر: صابر حباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2007م، ص18، 17.

هو الشكل الذي يقوم المرسل من خلاله بإفهام المرسل إليه ما يريد إيصاله إليه باللجوء إلى سلاسل من العلاقات[1].

وبعبارة أخرى هي مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية (...) وهي كذلك الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلائم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحديثة والبشرية[2].

إن مصطلح التداولية تتقاذفه مصادر معرفية مختلفة لأنه ملتقى لمصادر وأفكار وتأملات يصعب حصرها، وهناك من العلماء من تطرق لتعريف التداولية أمثال: "أن ماري ديلر"، و" فرانسيس جاك" و" ل. سفز" و" فرانسواز ريكاناتي".

إن "ماري ديلر" و" فرانسواز ريكاناتي" يعرفان التداولية على أنها: "تمثل دراسة تهتم باللغة في الخطاب، وتنظر في المسميات الخاصة به، قصد تأكيد طابعه التخاطبية"[3].

و"فرانسيس جاك" يقول: "هي دراسة اللغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية في نفس الوقت"[4].

ثم يضيف "ل. سفز" تعريفا للتداولية بقوله: "هي الدراسة أو التخصص الذي يندرج ضمن اللسانيات، ويهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل"[5].

فما من تعريف إلا وله منطلقات نظرية تسير وتضبط إجراءاته ضبطا منهجيا[6]، وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر بين الدارسين حول التداولية وتساؤلاتهم عن القيمة العلمية للبحوث التداولية وتشكيكهم في جدواها لأن معظمهم يقر بأن قضية التداولية هي "إيجاد" القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي[7].

---

[1]– فرانسواز أرمينفوا، المقاربة التداولية، ص14، 13، ونواري سعودي أبو زيد في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2009م، ص24، 23، نقلا عن مذكرة، ليلى كادة، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية، ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، العلوم في علوم اللسان العربي، ص39.

[2]– فيليب بلانشيه، التداولية مع " أوستن إلى غوفمان"، ص18.

[3]– المرجع نفسه، ص18، 19.

[4]– فيليب بلانشيه، التداولية بين أوستن وغوفمان، ص19.

[5]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[6]– ليلى كادة، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية، ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، العلوم في علوم اللسان العربي، ص44.

[7]– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص16، 17.

ومنه فالتداولية هي فرع لساني يعنى بدراسة التواصل بين المتكلم والمتلقي، أو هي العلم الذي يعنى بدراسة الرموز التي يستخدمها المتكلم في عملية التواصل المؤثرة في اختيار رموز معينة دون أخرى، والعلاقة بين الكلام وسياق حاله، وأثر العلاقة بين المتكلم والمخاطب على الكلام.

فالتداولية فرع من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم، فمثلا حين يقول القائل أنا عطشان فقد يعني أريد كوبا من الماء وليس من الضروري أن يكون إخبارا لأنه عطشان.

ولنتبين أثر السياق التداولي في فهم النص القرآني تقدم النماذج التطبيقية التالية:

قال الله تعالى: ﴿**قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ** ﴾عبس الآية 17.

بني الفعل قتل للمجهول وأضمر الفاعل فخرج إلى معنى تداولي والدعاء عليه، ومعنى "قتل" لعن وطرد من رحمة الله تعالى، ويصح أن يكون المراد به الجنس، ويدخل في الكافر دخولا أوليا أي: لعن وطرد من رحمة الله تعالى، ذلك الإنسان الذي ما أشده كفره وجحوده لنعم الله تعالى، والدعاء عليه باللعن من الله تعالى، المقصود به: التهديد والتحقير من شأن هذا الإنسان الجاحد، إذ من المعلوم أن الله – سبحانه – الذي يدعو على غيره إذ الدعاء في العادة إنما يكون من العاجز، وحال شأن الله – تعالى – عن العجز.

جملة "ما أكفره" تعليل لاستحقاق هذا الإنسان الجاحد التحقير والتهديد، وهذه الآبية الكريمة المتأمل فيها برها – مع بلوغها نهاية الإيجاز – قد بلغت – أيضا – نهاية الإعجاز في أسلوبها حيث جمعت أشد أوان الذم والتحقير بأبلغ أسلوب وأوجزه.

يقول الرازي: "دعاء عليه من أشنع دعواتهم، لأن القتل فأية شدائد الدنيا "وما أكفره" تعجب من إفراطه في كفران نعمة الله.

فيقول: "قتل الإنسان" تنبيه على أنواع القبائح والمنكرات فإن قبل الدعاء على الإنسان إنما يليق بالعاجز والقادر على الكل كيف يليق بذلك؟ والتعجب أيضا إنما يليق بالجاهل بسبب الشيء فالعالم بالكل كيف يليق به ذلك؟

الجواب: إن ذلك ورد على أسلوب كلام العرب[1].

[1]– الرازي: مفاتيح الغيب: التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ج31، ص57.

يتضح من كلام الرازي أن فعل الكلام المنجز للآية هو الدعاء وأسلوب الآية يدل على معنى مباشر، في حين يفهم المتلقي معنى غير مباشر.

ومثله قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ المائدة 64.

وهنا بني الفعل غلت للمجهول وأضمر فاعله لأن المقام لا يتناسب معه ذكر الفاعل سواء كان الله تعالى مباشرة أم ما يسببه بأمره سبحانه، ما دفع التركيب إلى السياق تداولي جديد بعيدا عن المعنى الأصلي فالمعنى المباشر لغل جعل في شده وعنفه الغل وهو القيد المخصص[1].

وأما المعنى التداولي الذي يستقيه المتلقي من السياق هو الدعاء بالبخل المذموم والمسكنة والفقر والنكد أو بغل الأيادي حقيقة بأن يكونوا أسارى مغلولين في الدنيا ويسيقوا إلى النار بأغلالها في الآخرة[2].

وفي قوله أيضا: ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ سورة المائدة 24.

لقد خاطب بني إسرائيل نبيهم عقب موعظة الرجلين لهم، رجوعا إلى أبايتهم الأولى التي شافوا بها موسى فقالوا: (أن فيها قوما جبارين) ثم أكدوا الامتناع الثاني من الدخول بعد المحاورة أشد توكيد دل على شدته في العربية بثلاث مؤكدات (إن، لن، أبدا) ولفظة "هاهنا" إشارة مكانية قريبة، وإلهاء للتنبيه، وهي تدل على الموضع الذي كان فيه بني إسرائيل مع نبيهم والذي لن يبرحوه اصرارا منهم على مخالفته3، والقيمة التداولية إلى تحملها الإشارة المكانية في سياق الخطاب القرآني هو مدى جرأة بني إسرائيل على إظهار العصيان لنبيهم فلفظة (هاهنا) تحيل على المكوث والانتظار حتى يخرج منها هؤلاء القوم.

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، (مادة غل)، الجزء 11، ص504.

[2]– أبو حيان، البحر المحيط، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ج4، ص314.

[3]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج6، ص231.

ومثله في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)**﴾ سورة الكافرون 1-6.

نلاحظ أن الخطاب موجه من الله تعالى (المتكلم) للرسول – صلى الله عليه وسلم – (المخاطب / المتكلم) إلى المخاطب الجمع (الكفار)، والمقصود من الكلام هنا هو التبرء من أعمال الشرك وتبطيل كل ما يعبده الكفار، ونعني من أن يوافقهم مما هم عليه من الكفر، والمحمولة الدلالة للضمائر هنا تشمل أيضا في إحالتها على كل مسلم وكافر بحيث ضمير الشخص "أنا" يدل على كل شخص يعبد الله، وضمير المخاطب جميعا "أنتم" يدل على كل شخص يعبد الأصنام وما يشملها من مظاهر الشرك[1].

من صيغ التبجيل الواردة في الخطاب القرآني ما خصه الله تعالى بأنبيائه، كقوله تعالى: ﴿**سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ** ﴾ الصافات الآية 79.

وقوله تعالى: ﴿**سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ** ﴾ الصافات الآية 109.

وقوله تعالى: ﴿**سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ** ﴾ الصافات الآية 120.

الغرض التداولي للصيغة الإشارية في الآيات هو إنشاء ثناء الله تعالى على أنبياءه و.... لهم وتنكيرها (سلام) وهؤلاء هم شخصيات بارزة في الديانات الثلاثة: (اليهودية، (هو للتعظيم والرفعة، وهو كتابة على دوام السلام) (المسيحية، الإسلام) بحيث ذكرهم الله تعالى في الكتب المنزلة لذلك فالتحية هنا لا تدخل ضمن النمط غير الرسمي المتداول بين عموم البشر، إنما تدخل ضمن ماهو رسمي يتضمن منزلة النبوة التي توجب التبجيل والاحترام والطاعة[2].

ومثله قوله تعالى: ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾ سورة البقرة 197.

---

[1]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص580.

[2]– ابن تيمية، الرسالة التدميرية، تحقيق، محمد بن عودة السعودي، مكتبة العبكان، ط6، 2000، الموقع الالكتروني: http/www. At chive. Arg / detaits / rerta. تاريخ الزيارة 2020/07/27.

وهي وصاية بفرائض الحج وسنته ومما يحق أن يراعي في أدائه وذكرنا أراده الله من الوصاية به من أركان وشعائره ووصف الأشهر بالمعلومات حوله على معلوم عند العرب من قبل، فهي الموروثة عندهم عن شريعة إبراهيم من شوال إلى نهاية النحر ولفظة الحج أشهر معلومات إشارة زمنية تدل على زمن العبادة أثناء الحج وحددها بهذه الصيغة (أشهر معلمات) ليدرك المتلقي أنها الفترة التي يكون فيها موسم هذه الشعيرة دون زيادة أو نقصان، أي شهرين وعشرة أيام (شوال، ذو القعدة، عشرة من ذي الحجة) والإشارة الزمنية حددت للمتلقي سبعين يوما[1].

وهكذا فإن الغرض التداولي من الإشارة الزمنية الواردة في سياق الآية هو إلزام المتلقي أن يدرك الحيز الزماني الذي يؤدي فيه الحج، وما يجب الالتزام به في هذه المدة من أعمال فعلية وقولية.

وقال أيضا: ﴿**أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ البقرة 184.

فالعلامة الإشارية للفظة "أيام" أحالت في سياقها الكلامي على عدد غير محدد من الأيام وبالرجوع لسياق القول في الآية الكريمة، نجد الخطاب موجه إلى كافة المسلمين حيث جعل لهم الله رخصة الإفطار للضرورة "مرض أو سفر" ثم حدد زمن قضاء ما أفطر من شهر رمضان بعدد أيام الفطر في المرض وبالتالي فالحمولة الدلالية لهذا العنصر الإشاري لم تتقيد بعد بعدد معين والسفر، إذ العدد لا يكون إلا مقدارا مماثلا بمقتضى ما قد تستغرقه الرخصة من الزمن[2].

ومما ورد من العلامات اللغوية الخاصة بالعنصر الإشاري المتصل بالزمن النحوي لفعل "كان" والتي دلت على أوقات زمنية مختلفة فنجدها قد تحمل دلالة الزمن المعتاد والدلالة على العادة في الماضي: وذلك كقوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ** ﴾ المائدة 77.

---

[1]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص231.

[2]– المرجع نفسه، ص164.

حيث ورد خبر كان فعلا مضارع يحيل على الاستمرار فأحالت على معاودة الفعل دون انقطاع وبالتالي حين يأتي المضارع مسبوقا ب"كان" للدلالة على أن الحدث كان مستمرا في زمن ماض مجيء "كان" إلى جوار الفعل يؤلف مركبا يؤدي هذه الفائدة[1].

ومن التراكيب الدالة على العلاقة الاجتماعية ذات الشكل غير الرسمي والخطاب القرآني كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى** ﴾ النازعات 26.

وقال أيضا: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ**﴾القصص الآية 55.

وقوله تعالى: ﴿**الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ البقرة 229.

اعتبر الملفوظات "الجدال"، "اللغو"، "الطلاق" اشاريات اجتماعية يمكن تحديد بعدها التداولي داخل سياق الخطاب القرآني كالتالي:

اللغو: دل على الكلام العبث الذي لا فائدة فيه، والذي يوجب الإعراض عنه مثلما فعل أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين لم يبدلوا في دينهم حتى آمنوا بالرسول – صلى الله عليه وسلم – والصيغة الإشارية لهذا الملفوظ تحيل على النمط التخاطبي غير العاقل إذا كل كلام خارج عن نطاق الإفادة والاستفادة بحمل دلالة هذا الملفوظ، والمتلقي يدركه من وروده في سياق الآية[2].

الجدال: أشار على المخاصمة بالقول ويراد الحجة، فهو بذلك فعل اجتماعي يكون بين المتخاطبين أثناء التواصل[3].

وهذا الفعل يكون للخير وللشر، وحمولته الدلالية في هذا السياق تحيل على الشر.

الطلاق: أشار على فعل اجتماعي يتعلق بالشؤون الزوجية، حيث يعبر به بلفظة تتضمن معنى فك الرابطة الزوجية حيث يكون صدوره من الزوج موجها إلى زوجته،

---

[1]– إبراهيم السمرائي، الفعل زمانه وبنيته، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1983م، ص33.

[2]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج20، ص145.

[3]– المصدر نفسه، ج2، ص403.

والحمولة الدلالة التي يحيل عليها السياق الخطاب القرآني هو الطلاق الرجعي أي غير الذي قبل التشريع الإسلامي في الجاهلية من ظهار وتحريم، فهو قابل للمراجعة[1].

المبحث الثاني: أثر أنماط السياق القرآني في فهم النص:

ذكر الدارسون المحدثون أنواعا للسياق منها السياق العاطفي، السياق الموقف، والسياق الاجتماعي، والسياق الحال، والسياق الداخلي، والسياق الخارجي ...إلخ.

وكل هذه الأنواع تنطوي تحت هذين النوعين:

1- السياق الداخلي: ويسمى أيضا السياق اللغوي ويشمل السياق الصوتي الصرفي والنحوي والمعجمي والقصصي.

2- السياق الخارجي: ويسمى أيضا غير اللغوي ويشمل سياق المقام والسياق الاجتماعي، السياق التاريخي، سياق الحال، وسياق الموقف[2].

لكن أثرت على دراسة السياق الداخلي أو ما يسمى بالسياق اللغوي وما يحتويه من سياقات صوتية صرفية، نحوية... إلخ وتتم دراستها على النحو التالي:

المطلب الاول: أثر أنماط السياق القرآني الداخلي (اللغوي) في فهم النص:

السياق اللغوي هو: "المعنى الذي يفهم من الكلمات السابقة واللاحقة لها في العبارة أو الجملة ويتمثل ذلك في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بين هذه الكلمات على مستوى التركيب[3].

ومنه فإن السياق هو الذي يحدد المعاني الدلالية لهذه الكلمات عن طريق وضعها في سياقاتها الأصلية.

ويمكن التمثيل لذلك بكلمة "يد" فإنها تأتي في عدة سياقات ويختلف معناها في كل سياق على النحو التالي:

1- في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ الفتح (10).

---

[1]- ابن عاشور، التحرير والتنوير ، ج20، ص145.

[2]- تمام حسان، مناهج البحث اللغوي، ص164.

[3]- عبد المنعم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص33.

وفي قوله يد الله فوق أيديهم وجهان من التأويل: أحدهما: يد الله فوق أيديهم عند البيعة لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيه صلى الله عليه وسلم والآخر قوة الله قوة قوتهم في نصرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وفي هذا السياق نعني "العناية".

2- وفي قوله صلى الله عليه وسلم: "وعلم يد على من سواهم".

أي أن المؤمنين مجتمعون على أعدائهم فلا يتخاذلون ولا ينقسمون، فإن جماعة من المسلمين أعطت عهدا وأمانا لبعض المشركين وكان ذلك في عهد – النبي صلى الله عليه وسلم – ، ويقتضي العهد والأمان أن يكون المشركون آمنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم خلال مدة معينة، ففي هذا السياق نعني "الاتحاد".

3- وفي قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ سورة المائدة (64).

أثبتت هذه الآية صفة اليدين لله تعالى ووصفتهما بالبسط دلالة على سعة الكرم والعطاء ففي هذا السياق نعني "العطاء والكرم".

4- وفي قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ** ﴾ سورة ص (75).

حيث أن هذه الآية تدل على تكريم الله لآدم – عليه السلام – حيث خصه بأنه خلقه بيده في حين خلق سائر الخلق بقوله (كن)، ففي هذا السياق تدل على "تكريم الله لآدم عليه السلام.

5- وفي قوله أيضا: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ** ﴾ سورة يس (71).

هنا ليس المعنى اليد بصفة اليد وإنما المراد منها أن الله خلق الأنعام بنفسه ومنه ففي هذا السياق نعني "أن الله خالق الأنعام بنفسه".

6- وفي قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ سورة يس (45).

هنا يدعو الله عز وجل المسلمين إلى مقاتلة المشركين إذا باشروا بالعدوان عليهم إلى أن يصلوا إلى مرحلة من الضعف يقبلون فيها بدفع مقابل لدوافعهم ومنه فمعناها في هذا السياق "الذل والمهانة".

من خلال الأمثلة السابقة تبين لنا أن اختلاف معنى "اليد" لم يكن منشأه إلا دلالة السياق.

كما يمكن التمثيل لذلك بكلمة "الصلاة" في عدد م الآيات القرآنية في سياقات متباينة على النحو التالي:

1- قال سبحانه وتعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ سورة التوبة (103).

في معنى هذه الآية أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قد أخذ ثلث أموالهم وكانت كفارة لذنوبهم وهذه الصدقة تطهرهم من الذنوب وترفههم من منازل المنافقين وذلك بدعاء الرسول لهم بأن يتوب الله عليهم وهنا " الصلاة" جاءت بمعنى "الدعاء والمغفرة".

2- قال الله تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا**﴾ سورة الإسراء (110).

الصلاة هنا جاءت بمعنى القراءة فالله عز وجل يدعوهم لقراءة كتابه ومعرفة أسمائه فالصلاة هنا جاءت بمعنى "القراءة".

3- قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾ سورة البقرة (03).

فإقامة الصلاة إقامتها ظاهرا بإتمام أركانها وواجبها وشروطها وإقامتها باطنا بإقامة روحها وهو حضور القلب فيها والصلاة هنا جاءت بمعنى "الصلاة الشرعية".

كما يمكن التمثيل بذلك أيضا بالفعل "أكل":

1- قال الله تعالى: ﴿**وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا** ﴾ الفرقان (07).

في هذه الآية يحاجج المشركون في الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقالوا مالي هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق فهم يعترضون على بشرية الرسول والاعتراض

على بشرية الرسل أمر تتوارثه أمم الكفر جيلا بعد جيل وجاء معنى الفعل يأكل هنا بمعنى "التغذية".

2- قال تعالى: ﴿**قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ** ﴾ يوسف (13).

في هذه الآية جاء معنى الفعل أكل بمعنى الافتراس لأن الذئب حيوان مفترس من الفصيلة الكلبية وهو كلب بري وحشي ومن خلقه الاحتيال والنفور والغدر وهو يفترس الغنم فورد الفعل يأكله هنا بمعنى "يفترسه".

3- وفي قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**﴾ الحجرات (12).

في هذه الآية منع صريح للغيبة والنميمة فإن الذي يأخذ الغيبة يوم القيامة يتجسم له هذا العمل على هيئة إنسان ميت وهو يأكل من هذا الإنسان فمعنى الفعل يأكل منها يعني "الغيبة".

فالسياق إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية وهذه الوحدات تتصل لتشكل الجمل المترابطة فيما بينها وهي تتعلق بالبيئة اللغوية والتداولية، فهذه العناصر اللغوية والتي يقدمها النص لفهمه من خلال السياق[1].

ومنه فالكلمة أو الجملة لا يفهم معناها إلا ما يتم وصلها بالتي قبلها أو بعدها داخل السياق الذي وضعت فيه.

أولا: السياق الصوتي:

ويفهم هذا النمط من خلال التنغيم الذي يعرف بأنه المصطلح الصوتي الدال على ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام[2].

أو هو المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع والانخفاض في درجة الجهر في الكلام[3]، وله وضيفتان فضلا عن وظيفته الصوتية هما:

---

[1]- محمد سعد محمد، في الدلالة، ص41.

[2]- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1990، ص164، في الكتاب نفسه، أنواع النغمات من صاعدة أو هابطة أو مستوية، ص167.

[3]- محمد السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، ط1، 1417هـ، 1997م، ص159.

وظيفة نحوية من خلال تحديد الإثبات والنفي والاستفهام والتعجب والاستنكار وغيرها في الجملة وظيفة دلالية يمكن رأيتها لا في اختلاف علو الصوت وانخفاضه، فحسب بل في اختلاف الترتيب العام بنفحات المقاطع في الشاهد التنغيمي الذي يقوم من الأمثلة مقام الميزان الصرفي ومن أمثلته[1]:

وقد تكون النغمة هابطة أو صاعدة وثابتة في التقرير والطلب ومن الأمثلة على ذلك:

– النغمة الهابطة: قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ** ﴾ سورة الصف (04).

الملاحظ أن هناك نوعا من التحضيض في هذه الآية الكريمة لكنه بغير أداة، ويفهم من السياق، أو الأداء التنغيمي، أي نوع من الحض على القتال، لكن بنغمة فيها لطف ولين أظهر فيه – عز وجل –حبه للذين يقاتلون في سبيله.

– ويقول أيضا: ﴿**عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ** ﴾ سورة التوبة (43).

نلاحظ ذلك في خروج الاستفهام إلى غرض العقاب في قوله تعالى في معاتبة خلق – صلى الله عليه وسلم – إننا نكاد نسمع ذلك التنغيم الهابط الذي عبر به عن ألطف معاتبة فهي معاتبة المحبوب للمحبوب والتي لا يمكن أن تتصورها إلا بذلك التنغيم الهادئ المتعاطف.

– والتنغيم الهابط يلائم غرض الاستبطاء تماما، إذ إن هذا الغرض يخفي نوعا من الحزن والأسى على تأخر مجيئ المطلوب مع اندفاع تام من المتكلم ورغبة صادقة في حصوله على وجه السرعة، فالمتكلم يستبطئ وينحسر لهذا الاستبطاء ولابد أن هكذا معاني تتلاءم مع التنغيم الهابط، كما نلحظ ذلك في استبطاء المؤمنين مجيء النصر بعد أن زلزلوا ومستهم البأساء والضراء.

قال الله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ** ﴾ البقرة (214).

[1]– تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص198.

– كما نجد هذا التنغيم الهابط في خروج الاستفهام إلى معنى التمني إذ أن طلب لا يدرك لابد أن يكون بتلك النغمة الحزينة التي كلت عن رفع الصوت واستكانت عليه أن تنال بعض ما تتمنى فنجد تلك النغمة في قوله تعالى على لسان المعرضين عن الحق وهم ينالون الجزاء المحتوم ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ** ﴾ الأعراف (53).

وقد استوثقوا أنهم يطلبون مالا يحق لهم فكانت نغمة الطلب هابطة وادعة.

– يقول الله تعالى: ﴿**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا**﴾ المزمل (08).

يقع نمط التنغيم الهابط على " إليه" وهي جملة تقريرية استغاث بربه الذي خلقه من شدة ورغب إليه في كشف ما نزل به من شدة ذلك.

– النغمة الصاعدة: قال الله تعالى: ﴿**قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾ الأعراف (123).

هنا نغمة صاعدة يخبرهم بإيمانهم على وجه التقرير لهم بإيمانهم، يوبخهم به وينكره عليهم بحيث تتم قراءة الآية بنغمة مرتفعة.

– وقال أيضا: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا**﴾ النساء (105).

هنا نغمة صاعدة ففي هذه الآية يقع التنغيم الصاعد على "الذين" وهي جملة الأمر يخبر تعالى أنه أنزل على عبده ورسوله الكتاب بالحق، أي: محفوظا في إنزاله من الشياطين، أن يتطرق إليه منهم باطل، بل نزل بالحق، ومشتملا أيضا على الحق، فإخباره صدق، وأوامره ونواهيه عدل.

– يقول تعالى: ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ البقرة (28).

هنا النغمة صاعدة فالاستفهام دلاية داء لمعنى التعجب والمناسب لهذا المعنى هنا أن تكون نغمة الأداء مرتفعة صاعدة، لتؤدي إلى إيصال معنى التعجب من هؤلاء الذين يكفرون بالله مع ما يلاحظون من الإماتة والإحياء في الأشياء وفي أنفسهم فكأن تقدير المعنى عجبا منكم على أي حال يقع منكم الكفر بالله مع الدلائل الظاهرة على وحدانيته.

– ويقول أيضا: ﴿**أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ (10) جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ** ﴾ الصف (10–11).

جاءت النغمة صاعدة في كلمة تؤمنون وتجاهدون لأنهما يحققان المدلول المراد (النجاة من العذاب)، فمن خلال قراءة مقام الآيتين نجد أن الفعلان (تؤمنون وتجاهدون) يحملان صيغة الأمر.

ويقول تعالى: ﴿**ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (48) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** ﴾ الدخان 48–49

فكلمة (ذق) يبدو معناها التكريم والتعظيم لكن نغمتها الصاعدة أظهرت غرضها الحقيقي وهو التهكم، فنبرة الصوت جعلت الكلمة أكثر التصاقا بالمعنى (التهكم والاحتقار) فأي انحراف في المفردة يؤدي إلى دلالة أخرى، فالتنغيم في ذق حملها شحنة حددت معناها التي أرادها الله في خطابه لأبي جهل وفيه إهانة واحتقار.

– النغمة المستوية:

يقول الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ البقرة (121).

هنا نغمة مستوية يخبر الله بها عن المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وسلم، وبما جاء من أصحابه.

– وتظهر أهمية التنغيم ودلالته النحوية من اختلاف القراء واللغويين في همزة الاستفهام، أي في جواز حذف همزة الاستفهام في الكلام، فيصبح أي الكلام بلفظ الإخبار، ويدل على معنى الاستفهام، كقوله تعالى: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ البقرة (124).

نغمة مستوية وذلك عندما أعلم الله تعالى إبراهيم – عليه السلام – أن في ذريته أنبياء جاءت جملة إخبارية تقرأ بنغمة مستوية.

– قال الله تعالى: ﴿**خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ** ﴾ الزمر (06).

نغمة مستوية حيث تقع قمة النمط التنغيم المستوى على "زوجها" وهي جملة إخبارية المعنى منها خلقكم ربكم – أيها الناس – من آدم، وخلق منها زوجه، وخلق لكم من الأنعام ثمانية أنواع ذكرا وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز، يخلقكم في بطون أمهاتكم طورا بعد طور من الخلق في ظلمات البطن والرحم والمشيمة، ذلكم الله الذي خلق هذه الأشياء، ربكم المتفرد بالملك المتوحد بالألوهية المستحق للعبادة وحده، فكيف تعدلوا عن عبادته إلى عبادة غيره من خلقه.

ويقول أيضا: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27)**﴾ الرحمان (26، 27).

نغمة مستوية، الظاهر في الآية كل ما كان على الأرض فهو فان، الجبال تدك، والأشجار والأحجار تذهب والجن والإنس يموتون، والحيوانات تموت وما يبقى شيء إلا الله، فالمعنى أخذ جرسه من نبرة التأمل والتبصر التي تسود نغمتها، القائمة على التروي الذي يتماشى مع السوابق التعبيرية الملازمة لها.

– ويقول تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ آل عمران (04).

نغمة مستوية، الملاحظ من هذه الآية تعبير عن المشتهيات التي أتى على ذكرها مجموعة على سبيل الإجمال، ثم أخذ في تفسيرها شهوة شهوة بدء بالأهم، فالأهم بدأ بالنساء لأنهن حبائل الشيطان، ثم البنين لأنهم ثمرات النساء وفروع عنهن، وقدموا على الأموال لأن حب الإنسان لولده أكثر من حبه لماله، ثم الأموال من ذهب وفضة وخيل مسومة والأنعام والحرث، ليختم الآيات بالإشارة إلى الأشياء السابقة أنها أمور دنيوية حقيرة فانية، ولله المرجع إشارة إلى نعيم الآخرة الذي لا يفنى، فإن الأداء النغمي تكون نغمته مستوية لأن مقاطعها الصوتية جاءت متحدة الدرجات في انخفاضها، فيكون أداؤها بنغمة عادية بغير انفعال، ويستمر الكلام على أداء واحد من بدايته إلى نهايته.

– وقال أيضا: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا**﴾ مريم (04).

في هذه الآية الكريمة مقطعين صوتيين، يتجسد الأول في قوله تعالى: "ربي إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا".

حيث تمتاز النغمة الصوتية في هذا المقطع بالهبوط وكأن بذلك نوعا من الوهن، ووضح ذلك طريقة أداء زكريا في الدعاء من ربه وهو يشكو حاله لله عز وجل ثم يبدأ المقطع الصوتي الثاني في قوله تعالى: "ولم أكن بدعائك ربي شقيا" يحتوي على نغمة مستوية مما دل ذلك على أنها جملة تقريرية حيث أن زكريا عليه السلام يقر أنه بدعائه هذا لم يكن شقيا.

ومما يتصل بالسياق الصوتي أن التنزيل العزيز يعبر بالمقاطع الصوتية ويقصد بها:

الصوت الإنساني يخرج مصحوبا بهواء الزفير ولذلك يخرج متقطعا، ولكن هذا التقطيع ليس عشوائيا هو بصورة منتظمة وهذا المقطع في الصوت الإنساني هو المعبر عنه بالمقاطع الصوتية، وهي تختلف من لغة إلى أخرى، وقد اختلف علماء الأصوات في تعريف المقطع، ويوجد اتجاهان بارزان في تعريفه هما:

التعريف الفونيتيكي: ويرى أن المقطع هو تتابع من الأصوات الكلامية ، له حد أدنى أو قيمة أسماع طبيعية تقع بين حدين أدنيين من الإسماع.

التعريف الفونولوجي: ويعرف المقطع بأنه الوحدة الأساسية التي تؤدي الفونيم وطبقة داخلها.

وتختلف المقاطع الصوتية في اللغات ويرمز بالرمز (ص) للصوت الصامت، والرمز (ح) للصائت أو الحركة، أو بالرموز الشائعة (C) للصامت و(v) للصائت وتعرف خمسة أنواع من المقاطع هي:

1/ المقطع القصير المفتوح: صامت + حركة قصيرة (ص ح)[1].

2/ المقطع المتوسط المفتوح: صامت + حركة طويلة (ص ح ح).

3/ المقطع المتوسط المغلق: صامت + حركة قصيرة + صامت (ص ح ص).

4/ المقطع الطويل المغلق: صامت + حركة طويلة + صامت (ص ح ح ص).

5/ المقطع الطويل المضاعف الإغلاق: صامت + حركة قصيرة + صامت + صامت (ص ح ص ص)[2].

---

[1]– أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص283 وما بعدها، عبد القادر، الأصوات اللغوية، ص215 وما بعدها.

[2]– أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دار الفكر، ط3، 2008، ص112.

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن الأنواع الثلاثة هي الشائعة في العربية، أما النوعان الآخران أي الرابع والخامس فلا يكونان إلا في أواخر الكلمات وعند الموقف[1].

وفي هذه الدراسة نذكر بعض الأمثلة منها:

1/ قال الله تعالى: ﴿**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (2) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (3) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ** ﴾ النبأ 1-5.

ابتدأت السورة بالحديث عن تساؤل المشركين عن يوم القيامة واختلافهم فيه، وقد جاءت الفواصل بالنون والميم، وكلاهما مجهور أغنن، والغنة مع الجهر تجعل للصوت دويا، وهذا الدوي يتناسب مع الدوي العظيم الذي يحدث إذا نفخ في الصور، فتصعق له الخلائق، أما المقاطع التي تنتهي بها هذه الفواصل فهي من نوع (ص ح ح ص) الطويل المغلق وهو يدل على عظمة يوم القيامة أو على طول امتداده قد تتناسب مع حال الناس يوم العرض وعم في ساحة الحساب.

2/ قال الله تعالى: ﴿**بِأَيْدِي سَفَرَةٍ**﴾ سورة عبس (15).

تبين هذه الآية أن القرآن الكريم تذكرة، فمن شاء آمن به أو ذكر به ربه كالرجل الأعمى الذي جاء إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – والذي صلح قلبه وزكت نفسه، تنتهي الفواصل بالهاء أو التاء المنقلبة هاء، وهذا الصوت مهموس عميق خفي يتناسب مع الإيمان والعقائد، لذلك اختير لهذا الصوت الذي يتناول حديثا عن النفس والعتب، وقد انتهت الفواصل بمقاطع مغلقة، ويدل الغلق على أن الزكاة مقصورة على من آمن بالغيب والمنادى بالقرآن.

3/ قوله تعالى: " **يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ** " سورة الآية6.

تتوجه السورة بندائها للإنسان، لقد اختير لما يتعلق بالإنسان ومصيره، صوتا رقيقا مهموسا خفيفا هو الهاء، فكأنه منجاة خفية في أذن الإنسان نحذره في لطف، أن أنجو بنفسك قبل فوات الأوان، أما بقية الفواصل فتنتهي بحرف الراء المكرر ومن دلالات التكرار الاستمرار فالسعداء في سعادة أبدية والأشقياء في تعاسة أبدية.

[1]– إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة النهضة، مصر، 1975،ص165.

أما المقاطع فتتنوع، فحين الحديث عن الإنسان وتحذيره تأتي مقاطع مغلقة فكأنها تخص الإنسان بالنصح وكأنها تخلو به ونهمس في روعة حتى لا يتمادى في الغفلة، أما المقاطع الأخرى فتأتي مفتوحة ممدودة بصائت طويل (ص ص ح) ودلالة الانفتاح قد تتعرف إلى طول وامتداد المصير الذي ينتظر الإنسان.

قال تعالى: ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ (22) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (23) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (24) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (26)**﴾ الغاشية (21، 26).

وقد جاءت الفواصل الأولى بالراء، وهو صوت قوي لأن الدعوة إلى الله اجهاد يتطلب الصبر، سيلاقي فيه الداعي معاناة وصدودا، فما عليه إلا أن يصبر وأن يواصل الطريق، وتختتم الفواصل بالميم التي تتطبق عند النطق به الشفتان وفيه دلالة على أن أمر الله سينطبق على العباد وأنهم راجعون إليه حتما للحساب والجزاء.

أما المقاطع فقد جاءت من نوع (ص ح ص) وهو متوسط مغلق ودلالة الإغلاق أن الكافر مهما تولى وكفر فإن إيابه إلى الله، وحسابه على الله.

قال تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (11) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (12) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (13) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (14) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (15)**﴾ الشمس الآية (11، 15).

ذكر الله تعالى قصة ثمود قوم صالح حين كذبوا رسولهم وطغوا في الأرض، وما كان من أمر هلاكهم الفظيع فكانوا عبرة لمن اعتبر، وصوت الهاء من الأصوات الخفيفة العميقة التي تلامس شغاف القلوب برقتها وعذوبتها فهي مناسبة تماما لهذا الموقف.

أما المقاطع فمن نوع (ص ح ح) المفتوح، ودلالات الفتح هي الولوج إلى أغوار النفس الإنسانية ودعوتها إلى الزكاة والصلاح وتحذيرها من الفساد المؤدي إلى الهلاك.

وتجتمع الصورتان (وجه المتقين) و(وجوه الكافرين) في مشهدين متناقضين في قوله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (38)** ﴾عبس الآية (38) وقوله: ﴿**يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (38) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (39) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (40) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (41) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (42)**﴾ سورة عبس الآية (38، 42).

إذ زاد المقطع الطويل الكامل في (ت، ب) في مستبشرة زيادة في استبشار المؤمنين بالنعيم المعد لهم في حين أدى بالمقاطع المقفلة في (ترهقها، عليها) إلى زيادة الهم والغم والضيق الذي هم فيه، وقد يعبر بالمقاطع المفتوحة في سياق الندم كما في قوله تعالى: ﴿**وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (23) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (24)** ﴾ الفجر (23، 24).

ويسهم السياق الصوتي بشكل كبير في تحديد الدلالات نحو استبدال الهمزة في كلمتي "هز وأز" و" وأن" ينقلنا من الضعف إلى القوة فالفعل الأول للتحرك خفيف القوي ويبرران بين جنبي دلك في باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني بقوله: " والهمزة أخت الهاء فتقارب اللفظتان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز"[1].

وكذلك القضم الخضم، والأسف والعسف، والجرف والجلف والجنف[2]... وسياق الكلام يمنع ورود الكلمة مكان أختها، فقد جاء فعل الهمز في القرآن الكريم في قصة السيدة مريم وقد كانت في شدة الضعف، فلا تملك قوة فكان الأنسب أن يقول ﴿**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا** ﴾ مريم 25، بينما قال في سياق آخر: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا** ﴾ سورة مريم 83، لأن الشياطين لها قوة كبيرة جدا فالأنسب هنا هو استخدام الفعل أزء، ومن ذلك أيضا القلب والادغام والإبدال في بعض الألفاظ[3].

وقد نجد هذه الأصوات تشكل تآلفا فصيحا تقبله النفس وتخدم المعنى أكثر من غيرها، من مثل ما نجد قوله تعالى في التعبير عن منتهى الظلم والجور تعقيبا على الذين نسبوا لأنفسهم النكران والله سبحانه وتعالى عما يصفون النبات" ﴿**تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى** ﴾ سورة النجم الآية 22.

هنا جاءت أنسب من غيرها من الكلمات فهي تحقق السجع مع الآيات التي سبقتها وكذا لحقتها وفي نفس الوقت أصوات هذه الكلمات جاءت مساوية للمعنى المراد وقد تشكل هذه الأصوات لفظة غير فصيحة تنفر منها النفس وقد تبعد المتلقي عن المعنى الحقيقي من

---

[1]– ابن جني، الخصائص، ص154.

[2]– المرجع نفسه، ص154.

[3]– السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص460 .

ذلك مستنشزرات، ولعل السياق الصوتي يسمح للمتلقي بفهم الحالة النفسية لمنتج النص كجو الحزن الذي صنعه البحتري في سينيته بتكرار حروف الصفرية.

ثانيا: السياق الإيقاعي:

تؤدي الفواصل دورا كبيرا في سياق صوتي من خلال اتساقها في الآيات والفاصلة نعني بها:

1- تعريف الفاصلة: لغة: مادة فصل تدور على معان منها:

الفصل وهو البون أو الفرق بين الشيئين، وفصل، قطع وفصل من البلد خرج منه، وفصله عن غيره أي نحاه وفصل الشيء جعله فصولا متمايزة، والتفصيل: التبيين والتمييز والفاصلة هي الخرزة تفصل بين الخرزتين في العقد ونحوه[1].

2- تعريف الفاصلة اصطلاحا: للفاصلة تعريفات عدة حسب اصطلاح أهل كل علم في علم العروض: الفاصلة عند العروضيين نوعان: صغرى وكبرى: فالصغرى ثلاث متحركات قبل ساكن نحو: "ضربت" والكبرى أربع حركات بعدها ساكن نحو: "ضربتا"[2].

في علم النحو: ضمير الفصل: وهو حرف وضع على صورة الضمير، فيسمى ضميرا مجازا... يؤتى به للتوكيد أو إزالة الإبهام، والفصل فيما يتوهم أنه صفة أو بدل وهو في الحقيقة خبر نحو: أن الله هو الغفور فضمير الفصل هو يبين أن الغفار خبر وليس صفة إذ بغيره قد يتوهم أن يكون صفة[3].

- في علم الحساب: الفاصلة هي العلامة في حساب الكسور العشرية تكتب بين الكسر والعدد[4].

---

[1]- الأزهري أبو منصور محمد، تهذيب اللغة، الدار المصرية، التأليف والترجمة، د ط، مصر، 1966م، ج12، ص192 وما بعدها وابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، الدار المصرية، التأليف والترجمة، د ط، مصر، د ت، ج14، ص35 وما بعدها وأنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، دار المعارف، ط2، مصر، 1392هـ، 1972م، ج2، ص691.

[2]- الهاشمي السيد أحمد، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، مؤسسة الكتب الثقافية، ط2، لبنان، 1415هـ، 1995م، ص9، 10.

[3]- الزغبي، المعجم الوافي في النحو العربي، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، د ط، لبنان، د ت، ص347.

[4]- أنيس إبراهيم، المعجم الوسيط، ص691.

– في علامات الترقيم: الفاصلة (،) تستعمل لفصل أجزاء الكلام عن بعضه، فيقف القارئ عندها وقفة خفيفة، أي يسكت سكتة لطيفة، تشعر بأن جزء من الكلام المتصل قد انتهى، ولتمييز أجزاء الكلام عن بعضه[1].

– في علوم القرآن: الفاصلة القرآنية هي كلمة آخر كل آية، جاء في لسان العرب: وأواخر الآيات من كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر، بل كتاب الله عز وجل واحدتها فاصلة[2] والفاصلة مرادفة لرأس الآية، وهي بمثابة القافية التي هي آخر كلمة في البيت، ومقطع الفقرة المقرون بمثلها في السجع[3].

الفاصلة هي آخر كلمة في الآية يكاد يتفق عليها الدارسين، ولم يخالفهم، فيما اطلعت عليه إلا أبو عمر الداني الذي نقل عنه الزركشي أنه قال: "أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده، وهذا قد يكون رأس آية وغير رأس وكذلك الفواصل يكن رؤوس أي وغيرها، وكل رأس أية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية"[4].

وقد احتج الداني بقول سيبويه ورد عليه الجعبري بأن مراد سيبويه الفواصل اللغوية لا الصناعية والتي كون الفاصلة هي رأس الآية، ذهب الزركشي في قوله: "وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يباين القرآن بها الكلام"[5].

ويفهم من هذا أنه يربط الفواصل بالوقف، وعادة الوقف مرتبط برؤوس الآية، ويعلل لتسمية الفواصل بأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل بينهما وبين ما بعدها[6].

سبب التسمية:

سمى العلماء أواخر الآيات فواصل تميزا للقرآن عن غيره من أنواع الكلام وهذه التسمية تجد مستندها من القرآن الكريم نفسه، فقد جاءت آيات كثيرة في الكتاب الكريم تحمل إشارة إلى هذه التسمية.

---

[1]– حسني عبد الجليل يوسف، علم كتابة اللغة العربية والإملاء، دار السلام، ط1، مصر، 142هـ، 2006م، ص142.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص39.

[3]– القاضي، بشير السير، شرح فاطمة الزهر في علم الفواصل، دار السلام، ط1، مصر، 1429هـ، 2008م، ص84.

[4]– الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص53، 54.

[5]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[6]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ** ﴾ الأنعام 98، وفي قوله: ﴿**وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ الأعراف 133، وفي قوله: ﴿**كِتَابٌ فُصِّلَتْ آَيَاتُهُ قُرْآَنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ فصلت 03.

فهذه الآيات وغيرها من كتاب الله تحمل على معنيين[1]:

الأول: التفصيل بمعنى التبيين ومفصلات بمعنى مبينات.

الثاني: تفصيل الآيات بالفواصل، بأن يكون بين كل آيتين فاصلة أي مهلة وعلى هذا تكون الفاصلة هي نهاية الآية، وقد أخذ العلماء هذه التسمية لنكون علما على أواخر الآيات تنزيها للقرآن عن مصطلحات الفنون الأخرى، نقل السيوطي عن الجاحظ قال: "سمى الله كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب كلامه على الجمل والتفصيل: سمى جملته قرآن كما سمو ديوانا، وبعضه سورا كقصيدة، ولعضه آية كالبيت، وآخره فاصلة كالقافية"[2].

ومنه فإن للفاصلة القرآنية أهمية كبيرة في تفسير الآيات لأنها تعالج طرفا من نظم القرآن وتبين لنا جانبا من جوانب الإعجاز ألا وهو الإعجاز البياني، إذ تأتي الفاصلة مراعاة لما يقتضيه التعبير والمعنى القرآني، لإضافة إلى الانسجام الموسيقي الجميل الذي تضيفه للآية الكريمة من اعتدال نسق الكلام، وحسن موقعه في الجملة، وتأثيره في النفوس تأثيرا عظيما، إذ أن النفس البشرية دائما تميل إلى التعبير الجميل وعذوبته اللفظية الحسنة وتشنفها في آذان السامع ويتضح لنا ذلك في مجموعة من الآيات نذكر منها:

قال الله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ** ﴾ الملك 23.

يتبين لنا من خلال الآية قدرة الله عز وجل في الخلق والنعم التي أنعم بها عليهم وسوء استخدامهم لها، فهم لم يشكروا الله تعالى على هذه النعم العظيمة ولم يدركوا أنه لولا الخالق لم يكن الإنسان شيء مذكورا.

جاءت الفاصلة في هذه الآية (قليلا ما تشكرون) جملة حالية غرضها بيان الحال الذي عليه المخاطبون من المشركين وهو إهمال شكر النعمة "قليلا" صفة مشبهة و "ما"

---

[1]– الأزهري، تهذيب اللغة، ج12، ص194.

[2]– السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص143.

مصدرية والمصدر المؤول منها والفعل بعدها "تشكرون" في محل رفع فاعل للصفة المشبهة "قليلا" حيث أنها تعمل عمل الفعل فترفع فاعل والتقدير "قليلا تشكركم" و"قليلا" جاءت هنا كناية عن نفي الشكر وعدمه وليس المراد القلة ومنه الفاصلة جاءت مبنية على الحال التي عليها المشركين على الرغم من النعم التي أنعم بها الله عليهم إلا أنهم لم يشكروه ولم يستخدموها فيما خلقت لأجله.

- ويقول أيضا: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)**" الإخلاص (1- 4).

نزلت هذه السورة لأن بعض المشركين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصف لهم ربه وهي تعادل ثلث القرآن الكريم، وهي تتناول أهم قضية في الوجود وهي قضية التوحيد، والتي بها يتحدد المصير الختامي للإنسان، فالله سبحانه وتعالى تعهد أنه لا يغفر لمن أشرك به شيئا، وقد جاءت الفواصل منتهية بصوت الدال الشديد المجهور المقلقل ليتناسب مع عظمة السورة، ولقد جاءت الفاصلة هنا لتبين لنا عظمة هذه السورة وما تناولته، فهي حملت أهم قضية في الوجود التي من أجلها خلق الخلق وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب، فجاءت لتدل على أن التوحيد هو الطريق الوحيدة للنجاة من عذاب الله فكل من أخطأه هلك.

ويقول أيضا: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3)**﴾ الكوثر (1- 3).

نزلت هذه السورة ردا على المشركين الذين رأو موت الذكور من أولاد الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا: "أنه أبتر" أي مقطوع، فهم رأو أنه سينتهي بموته لأنه ليس له ولدا يخلفه، ولقد جاءت فواصل السورة ب" الراء" المكرر المجهور القوي وهو يدل على كثرة الخير الذي أعطاه الله لرسوله في الدنيا والآخرة، كما يدل على الأمر بالكثرة في الصلاة والذبح تقربا إلى الله تعالى وكان مبغض شانئ لرسول الله فهو أقطع أبتر.

وقال أيضا: ﴿**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (3) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (6) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (7)**﴾ الماعون (1، 7).

نزلت هذه السورة لتحذر من الخصال الذميمة، كتأخير الصلاة عن وقتها ومنع الزكاة وظلم اليتيم والتعدي عليه وتكذيب الحساب وعدم الحث على إطعام المسكين، فهذه السورة تخويف وترهيب لما جاء فيها من خصال ذميمة، فاختار صوت الميم والنون مع الصائت الطويل وهما يحدثان عن النطق دويا لعمل حجرات الرنين، وهذا الدوي يتناسب مع تهويل الأمر والتخويف من مثل هذه الخصال التي تكون نتيجتها الهلاك.

قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)** ﴾ الكافرون (1، 6).

في هذه السورة عرض المشركون على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعبدوا ربه سنة ويعبد آلهتهم سنة وفيها براءة لمن اعتقدها من الشرك والنفاق، لقد تنوعت أصوات الفواصل بين النون والميم والدال، وكلها أصوات قوية مجهورة ودلالة ذلك هي الإعمال الصريح المدوي والقوي لهذه المفاصلة والبراءة، فلا يمكن أن تلتقي أبدا عقيدة التوحيد الصافية مع عقائد الوثنيين وأوهامهم.

قال تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (30)** ﴾الملك (30).

يخاطب المولى عز وجل في هذه الآية الكفار، كيف يستطيعون إخراج الماء إن أصبح غائرا في الأرض ومن سيأتيهم بماء جار طاهر يأخذ بسهولة، جاءت الفاصلة هنا "فمن يأتكم بماء معين" جملة استفهامية غرضها الإنكار والنفي، وجاءت الفاصلة مقررة من خلال الاستفهام الإنكاري أنه ليس بمقدور أحد أن يأتي بالماء من باطن الأرض إلى وجهها غير الله سبحانه وتعالى فهو على كل شيء قدير.

قال تعالى: ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (2) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4)** سورة الانشراح (1- 4).

تتحدث هذه الآية عن منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم ومكانته الجليلة عند المولى عز وجل، والنعم التي أنعم بها المولى عز وجل عليه، فقد شرح الله صدره بالإيمان، ونور قلبه بالعرفان، وزين دينه بالإسلام، كما تناولت ما لقاه الرسول من معاملة قاسية وما واجهه

من شدائد في مكة واختتمت بتذكيره بواجب أداء العبادة وتشكر الله على نعمه التي أنعم بها عليه.

انتهت الفواصل "بالكاف"، وهو صوت مهموس مرقق مستقل منفتح يناسب الخطاب الذي يوجهه الرب لحبيبه ومصطفاه، ليخفف عنه الشدائد التي واجهها من المشركين وأتباعهم.

قال الله تعالى﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (2) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (3)**﴾ البروج (1- 3).

يقسم الله عز وجل في هذه الآية بالسماء وما فيها من كواكب عظيمة، وباليوم الموعود وهو يوم القيامة، وبالشاهد والمشهود وهو يوم الجمعة ويوم عرفة في معظم التفاسير، لذلك اختار الفواصل التي تنتهي بأصوات قوية تتناسب مع المعنى " فالجيم والدال" كلاهما صوت قوي مجهور مقلقل، لهذا اختيرت هذه الفواصل في هذا الموقف بالذات لأنها الأصح والأصلح للتعبير عن عظمته.

قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (5)** ﴾القدر (1، 5).

تتحدث هذه السورة عن أعظم ليلة وهي ليلة بدء نزول القرآن على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الاتصال المطلق بين الأرض والملأ الأعلى، اختصت هذه الليلة بالتعظيم لنزول القرآن فيها، جاءت فواصل هذه السورة مختومة بحرف "الراء"، وهو صوت تكراري مجهور قوي للدلالة على عظمة هذه الليلة وعظمة ما نزل فيها، ويدل تكرار الراء على تكرار هذه الليلة كل عام وعلى كثرة الخير فيها مما جعل هذه الفواصل تتناسب مع عظمة ما جاء في السورة.

وقال أيضا: ﴿**فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (5) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (6) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (7) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (8) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (9) يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (10) أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (11) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (12) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (13) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (14)**﴾ النازعات (5-14).

تتحدث هذه السورة عن أهوال يوم القيامة وعن أحوال الخلق وعما يحدثه هذا اليوم في النفوس من هلع وخوف... وقد اختار القرآن صوتا واحدا هو صوت التاء المربوطة وهو ينقلب عن الوقوف (هاء)، و "الهاء" صوت هوائي حنجري رخو مهموس مرقق خفي، فهذه الفواصل تتناسب مع الحديث عن يوم القيامة الذي لا يعلمه إلا الله.

ثالثا: السياق النحوي:

قد أشار الدارسون إلى أهمية معرف إعراب القرآن الكريم في تبين خفايا النص وفهم معانيه ومراميه، ولذلك فقد أفرد بالتصنيف خلائق منهم مكي والعوضي، وأبو البقاء العكبري والسفاسفي، والنحاس والزجاج وغيرهم وحول أهمية إعراب القرآن وعلوم اللغة في ضبط المعنى، يروي يحيى بن عتيق سؤله للحسن، قلت: يا أبا سعيد الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق، ويقيم بها قراءته قال: حسن يا ابن أختي فتعلمها، فإن الرجل يقرأ الآية فيعي بوجهها فيهلك فيها[1]. وهذا يوضح الأثر العظيم للإعراب على معنى الآية؛ ولذا فقد أوبوا على معرب كتاب الله أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه مفردا أو مركبا قبل الإعراب فإنه "فرع المعنى"[2].

وقال ابن هشام: "وقد زلت أقدام كثير من المعربين راعوا ظاهر اللفظ ولم ينظروا في موجب المعنى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (87)** ﴾ هود 87 ، فإنه يتبادر إلى الذهن عطف "أن تفعل" على أن "تترك" وذلك باطل لأنه لم يأمرهم أن يفعلوا في أموالهم ما يشاؤون، وإنما هو عطف على (ما) فهو معمول للترك، والمعنى: أن تترك أن تفعل وموجب الوهم المذكور أن المعرب يرى (أن) والفعل مرتين وبينهما حرف العطف[3].

وذكروا كذلك على أن معرب كلام الله أن يراعي ما تقتنيه الصناعة فربما راعى المعرب وجها صحيحا، ولم ينظر في صحته في الصناعة فيخطئ ومن ذلك قول بعضهم حول الآية: ﴿**وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (51)**﴾النجم 51.

---

[1]– السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص382.

[2]– ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب،ص180.

[3]– السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص383.

أن (ثمودا) مفعول مقدم، وهذا امتنع لأن (لما) النافية الصدر فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها، بل هو معطوف على (عادا) أو تقديرا (أهلك ثمودا)[1]، وقد استعان معربو القرآن بالسياق في إعرابهم ولاحظوا أثر السياقات المختلفة في توجيه الآيات، وأبرزوا هذا الأثر من خلال محاور عديدة عدة أبرزها:

أولا: التقديم والتأخير في القرآن الكريم:

عند تتبع الآيات التي ورد فيها لفظ الجلالة نجد الكثير منها تقدم المسند ولنأخذ سورة النحل مثالا على ذلك ففي قزله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (65)** ﴾ النحل 65، وقال تعالى:﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (70)**﴾ النحل 70، وقال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (72)**﴾ النحل 72.

تقدم المسند إليه (لفظ الجلالة) على المسند (الفعل) ويعد هذا النظام أسلوبا من أساليب القصر يلجأ إليه في الكلام عند إرادة قصر صفة من الصفات على المسند إليه، ففي هذه السورة المباركة وأمثالها جاء تقديم لفظ الجلالة على الفعل بيانا لنعمة الكثيرة على الناس والتذكير على آلاته على الناس ودفعا لما يتوهم أن الله شريك.

ويقول أيضا في تقديم المسند إليه على المسند:﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)** ﴾ الحجرات 13، تقدم المسند إليه وهو اسم "إن أكرمكم" على المسند "أتقاكم" ذلك تقديمه بشوق النفس إلى معرفة المسند ففي هذه الآية يبين المولى عز وجل مكانة الإنسان التقي الذي كرمه بها المولى عز وجل، فقد تقدم المسند إليه على المسند للتشويق.

قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (59)**﴾ المؤمنون 59.

جاءت في هذا السياق لتنفيذ تقوية المعنى فقول المولى عز وجل في هذه الآية أبلغ في تأكيد نفي الاشتراك مما لو قيل: " والذين بربهم لا يشركون "أو "لا يشركون بربهم" فالله

[1]– السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص383.

عز وجل أراد أن يتبت أن المؤمنون لا يعبدون معه جبريل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا هو واحد لا شريك له.

وفي قوله أيضا: " أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم" فإنما قدم خبر المبتدأ عليه في قوله: "أراغب أنت" ولم يقل: "أنت راغب" وذلك لأهمية المتقدم والعناية به، وفي ذلك ضرب من التعجب والإنكار لرغبة إبراهيم عن الآلهة وأن آلهة لا ينبغي أن يرغب عنها وهذا بخلاف ما لو قال: " أنت راغب عن آلهتي؟" فعني هذا السياق دلالة على الإنكار والتعجب.

وقد يحدث في الجملة تقديم لما أصله التأخير أو التأخير لما أصله التقدم، فالنحاة جعلوا الكلام رتبا فإن جئت بالكلام على أصله لم يكن من باب التقديم والتأخير، وإن وضعت الكلمة في غير مرتبتها دخلت باب التقديم والتأخير[1]، ومن أمثلة ذلك ما ذكره السمرائي وهو يقارن بين الأصل في الآية : ﴿**أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (25)**﴾ سورة القمر 25.

وتقدم الجار والمجرور في الآية: ﴿**أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (52) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (53)** سورة الزخرف52، 53.

الكلام جرى في سورة القمر على الأصل ذلك أن السياق هو في التكذيب بالنذر ومدار التكذيب قائم على إنكار إنزال الذكر عليهم... في حين كان في الزخرف في المفاضلة بين الشخصين (موسى وفرعون) فناسب تقديم ما قدم[2].

نذكر أمثلة أخرى في باب التقديم والتأخير منها:

أ- تقديم المفعولات:

1- تقديم المفعول به على الفاعل: مثل قوله تعالى:﴿ **وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (41)** ﴾ سورة القمر 41.

فالمفعول في هذه الآية (آل فرعون) والفاعل (النذر) وعن تقدم المفعول به على الفاعل جوازا لأنه من الحالات الطبيعية في الجملة.

---

[1]- فاضل صالح السمرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر عمان، الأردن، ط2، 2007م، ص37.

[2]- المرجع نفسه، ص39.

2- تقدم المفعول به الثاني على الأول: نحو قوله تعالى: " فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون"

تقدم المفعول به الثاني (الله) على الأول (ندادا)، فتقدم المفعول به الثاني وهو لفظ الجلالة على المفعول به الأول (الأنداد) بيانا لأن الله نهاهم أن يشركوا به شيئا وأن يعبدوا غيره أو يتخذوا إله دونه.

3- تقدم المفعول به على الفعل:

في قوله تعالى:﴿ **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31)**﴾ سورة الحاقة 30، 31.

قدم المفعول به (الجحيم) على الفعل (صلوه)، ففي هذه الآية يأمر الله خزنة جهنم أن يأخذوه ويغلوه أي يجمعوا يده إلى عنقه استعدادا ليتلقى العذاب الذي ينتظه وفي هذه الآية تقدم المفعول به (الجحيم) على الفعل (صلوه) مراعاة للفاصلة وحفاظا على موسيقى الكلام.

ب- تقديم الحال:

تقدم الحال على صاحبها: نحو قوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (144)** ﴾ سورة آل عمران الآية 144.

(من قبله) متعلق ب(خلت) أو حال (الرسل) يعني تعالى في هذا الذكر أن ما محمد إلا رسول كرسل الله الذين أرسلهم إلى خلقه داعيا إلى الله والى طاعته الذين حين انقضت آجالهم ماتوا وقبضهم الله إليه وهنا تقدم الحال على صاحبها لبيان المعنى وإيضاحه.

ج- تقديم التمييز:

تقديم التمييز على صورتان هما: تقديم التمييز على المفضل عليه وتقديمه على عامله، نذكر تقديم التمييز على المفضل عليه نحو قوله تعالى﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33)**﴾ فصلت 33.

قدم التمييز (قولا) على المفضل عليه (ممن دعا)، تبين هذه الآية أن أحسن الناس قولا من قال ربنا الله ثم استقام على الإيمان به والانتهاء إلى أمره ونهيه ودعا عباد الله إلى ما قال وعمل به من ذلك.

د- تقديم الظرف على الفاعل: نحو قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ**

اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (282)﴾ سورة البقرة الآية 282.

حيث قدم الظرف (بينكم) على الفاعل (كاتب) جاء هذا التقديم لبيان معنى الآية أن يكتب كاتب الدين بينكم بالعدل وبالحق في كتابه لا يزيد في المال والآجال ولا ينقص.

ج- قال الله تعالى:﴿ **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (173)** ﴾ البقرة 173.

قدم (به) في هذه السورة وآخرها في المائدة في الآية 03 في قوله :﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (3)﴾** وفي سورة الأنعام الآية 145: ﴿**قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (145)** ﴾ وفي سورة النحل الآية 115: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (115)﴾**

قدم المجرور (به) في آية البقرة لأن هذه المعاني المشار إليها في آية سورة البقرة غير موجودة في الآيات الثلاث الأخر، فقد تأخر الضمير المجرور إلى محله الذي هو موضعه إذ لم يقصد هذا القصد، ولم يكن ليلائمه التقديم.

نكتفي بهذا القدر من الأمثلة من باب التوضيح فلا تزال هناك أبواب كثيرة في التقديم والتأخير في القرآن الكريم.

ثانيا: الحذف في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (35)** ﴾ الرعد 35.

حذف الخبر هنا في قوله (أكلها دائم وظلها) والتقدير ظلها دائم، فتم حذف الخبر على المجاز وحذف هنا لمنع التكرار.

قال تعالى:﴿ **مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3)**﴾ الضحى 03.

حيث ذكر مفعول (ودع) وحذف مفعول (قتلى)، فحذف المفعول به هنا وذلك ليحدث ايقاعا في الفاصلة لأن السورة أكثرها بالألف المقصورة.

قال تعالى:﴿ **بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (112)**﴾ البقرة 112.

حذف فاعل التزيين لأن المزين لهم أمور كثيرة، فقد حذف الفاعل هنا تجنبا للإطالة.

قال تعالى:﴿ **ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (1)** ﴾ سورة ص الآية 01.

حذف جواب القسم في هذه الآية، فالمقصود بذي الذكر القدر العظيم والشرف، المذكر للعباد كل ما يحتاجون إليه أكثر ما يحذف الجواب إذا كان في نفس المقسم به دلالة على المقسم عليه فإن المقصود يحصل بذكره فيكون حذف المقسم عليه أبلغ وأوجز من تعظيم القرآن.

قال تعالى: ﴿**إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35)**﴾ آل عمران 35.

حذف العامل لدلالة السياق عليه (فتقبل مني) يعني تقبل مني هذا التقرب إليك بنذر هذا الحمل الذي نذرته ليقوم بخدمة بيتك، أخذ الشيء على الرضا وأصله المقابلة لأنه يقبل بالجزاء، وهذا كلام من لا يريد بما فعله إلا الطلب لرضا الله تعالى فيحذف فعل الأمر.

قال الله تعالى:﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ سورة يس (71).

حذف جواب شرط في الآية وإذا قيل لهم انقوا ما بين أيديكم وما خلقكم لعلكم ترحمون بيان عن الآيات التنزيلية فيقبل لهم بطريق الإنذار (اتقوا ما بين أيديكم وما خلقكم) حذف جواب الشرط لتعويضها، (لعلكم ترحمون) المعنى كي ترحموا فتنجوا من ذلك فالنجاة ليس إلا رحمة من الله تعالى.

قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (36)**﴾ آل عمران 36.

في وضع الضمير المؤنث موضع ما في بطنها إيجاز لطيف والمعنى فلما وضعت ما في بطنها وتبينت أنه أنثى قال: "رب إني وضعنها أنثى، (رب) منادى حذفت منه ياء النداء، وأصله: يا ربي، ولكن تحذف بالنداء في مثل هذا التركيب اختصارا لكثرة استعماله، وحذف منه ضمير المتكلم الياء حذفت تخفيفا.

قال تعالى: ﴿**وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (224)**﴾ البقرة 224.

ينهى الله عباده المؤمنين أن يجعلوه عرضة دون فعلهم للخير والعرضة بضم العين المهملة لها عدة معاني فالعنى: لا تجعلوا الله سبحانه وتعالى مانعا بينكم وبين عمل الخير بأن تحلفوا على ذكرهم فتتركوه تعظيما لاسم الله.

وقوله تعالى: (أن تبروا) في موضع نصب مفعول لأجله والأصح هو في موضع رفع الابتداء والخبر محذوف، أي تبروا وتتقوا خير لكم والتقدير في (أن تبروا) فلما حذفت حرف الجر نصب.

قال تعالى: " **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (45)** " سورة الآية (45).

المعنى يخوفكم أولياؤه، أي بأوليائه، أو من أوليائه، فحذف حرف الجر ووصل الفعل إلى الاسم فنصب، فلا تخافوا المشركين أولياء الشيطان بل خافوا الله الذي ينصر أولياؤه الخائفين منه المستجيبين لدعوته.

فكان حذف الباء لهذا الطلب الدائم من الله تعالى بالخوف منه وحده فهو سبحانه الذي بيده مقادير كل شيء.

ثالثا: أثر السياق في تحويل الأفعال:

قد يأتي الفعل المضارع للدلالة على حدث قد مضى، وقد قرر علماء البلاغة أن المضارع في الحالة هذه يقصد به استحضار الصورة للحدث الماضي، وكأنه أمر مشاهد بارز للعيان، يقول ابن الأثير: "واعلم أن الفعل المستقبل إذا أتى به في حالة الإخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي، وذلك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي[1] وهذا ما أطلق عليه الزمخشري عند قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (9)**﴾ فاطر 09، فإن قلت لم جاء "فتثير" على المضارعة دون قبله وما بعده؟ قلت: ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب، وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية"[2].

فالسياق هو الذي أضفى على الفعل المضارع في هذه الحالة دلالة زمنية معينة، وذلك من عطف الفعل المضارع على الفعل الماضي، إذ يقتضي السياق بموجب المطابقة الزمنية أن تجري الأفعال الواردة فيه على نسق واحد، يقول السيوطي: "ما عطف على حال أو مستقبل أو ماض أو عطف عليه تلك فهو مثله، لا اشتراط اتحاد الزمان في الفعلين المتعاطفين"[3]، فمجيئ الفعل المضارع في الحالة هذه خارجا عن النسق العام للسياق يؤدي إلى توليد بارزتين في السياق، دلالة نحوية متمثلة في الفعل المضارع الدال على الزمن الحاضر والمستقبل، ودلالة سياقية متمثلة في الإشارة إلى الزمن الماضي أو مجيئه بعده، فالدلالة السياقية تقتضي ماضيه والدلالة النحوية للصفة تقتضي استحضاره، فيجمع بين الدلالتين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (87)**﴾ البقرة 87.

ففي هذا السياق حصل تحول عن الفعل الماضي "كذبتم" إلى الفعل المضارع "تقتلون" وكان مقتضى السياق بموجب المطابقة الزمنية بين الأفعال أن يكون على النحو "ففريقا

---

[1]– ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار النهضة مصر، للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ج2، ص145.

[2]– الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، ج3، ص601.

[3]– السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، ج1، ص42.

كذبتم وفريقا قتلتم" لاسيما أنه يتحدث عن أمر حدث في الزمن الماضي، من تكذيب اليهود للأنبياء وقتلهم وإياهم، لكن السياق تحول عن الماضي إلى المضارع لأن قتل الأنبياء أمر فضيع، فأراد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب.

يعد السياق النحوي من الوسائل الناجعة للوصول إلى المعاني المقصودة من الجمل، فيقول الزمخشري: "إن الإعراب (النحو) أحد تفاريق القضا وإثارة الحسنة عديدة الحصى ومن لم يتق الله في تنزيله فلجترأ علي تعاضي تأويله وهو غير معرب، فقد ركب عمياء يخيط خيط كشواء وقال ها هو تقول وافتراء وهراء وكلام الله منه براء" وهذا تصريح واضح على أهمية الدراية بالنحو وأسراره في التفسير القرآني، إذ يعتمد المفسرون على التأويل النحوي بغية تحصيل المعاني الصحيحة للآيات[1].

رابعا: السّياق الصّرفي:

يعرف علماء العربية علم الصرف بأنه: (العلم الذي تعرف به كيفية صياغة الأبنية العربية، وأحوال هذه الأبنية التي ليست إعرابا ولا بناء)، والمقصود بالأبنية هنا هيئة الكلمة، ومعنى ذلك أن العرب القدماء فهموا الصرف على أنه دراسة لبنية الكلمة، وهو فهم صحيح في الإطار العام للدرس اللغوي[2].

فالصرف أو التصريف: علم يبحث فيه عن أحكام بنية الكلمة العربية وما لحروفها من أصالة وزيادة، وصحة واعتدال، وشبه ذلك، ولا يتعلق إلا بالأسماء المتمكنة والأفعال فالحروف وشبهها لا تعلق لعلم الصرف بها.

ويهدف السياق الصرفي إلى (دراسة المفردات لا بوصفها صيغا وألفاظا فقط، وإنما بحسب ما فيها من خواص تفيد في خدمة الجملة أو العبارة[3]) وإن المبنى الصرفي الواحد (متعدد المعنى ومختمل كل معنى مما ينسب إليه وهو خارج السياق أما إذا تحقق المعنى بعلاقة في سياق فإن العلاقة لا تفيد إلا معنى واحد تحدده القرائن اللفظية والمعنوية والحالية[4]) ويدرس السياق الصرفي السوابق واللواحق والزوائد وكل زيادة في المبنى ترافقها

---

[1]– الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق، د. علي بن ملحم، مكتبة الهلال بيروت، ط1، 1993م، ص19.

[2]– عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، دار النهضة، بيروت، د ط، د ت، ص07.

[3]– خليل بشير العامري، السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج: 9، العدد 02، 2010، ص48.

[4]– تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص165.

زيادة في المعنى، وكثيرا ما يقترن السياق الصرفي بالسياق النحوي لتفاعل الصرف والنحو في سياق واحد.

وقد اخترنا الصيغ الصرفية وتنوعها محطة البحث ومنهلا وحقلا علميا تبرز فيه من خلال تنوعات الصيغ في القرآن الكريم ودورها في إيضاح تلك المقاصد والمعاني.

أ- صيغ الأفعال:

1- إن صيغة فعل حسن وأصل الفعل حسن بفتحتين فحول إلى فعل بضم العين لقصد المدح والتعجب وشأن فعل من الثلاثي أن يدل على المدح أو الذم بحسب مادته مع التعجب وقد جاء في هذه الآية ليبرز صفة الحسن والتعجب والمدح لأولئك المرافقين.

2- صيغة فعل (خسر):

قال الله تعالى: ﴿**قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (140)**﴾ الأنعام 140.

إن صيغة فعل من دلالتها أنها تجيئ للدلالة على النعوت الملازمة والأعراض كالأمراض وغيرها فنجدها في هذه الآية ممتثلة في صيغة خسر الدالة على الهلاك فكانت مناسبة لدلالتها واستحقاقا وتحقيقا لفعل الخسران لأولئك الذين قتلوا أولادهم سفها.

3- صيغة فعل (وهب):

قال تعالى:﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (39)**﴾ إبراهيم 39.

إن صيغة فعل (وهب) من دلالتها أنها تفيد الإعطاء ووهب في اللغة من الهبة أي العطية الخالية من الأعواض والأغراض وتدل هنا على الإعطاء وهي المناسبة للآية الكريمة فهي منة من الله وعطاء إبراهيم عليه السلام.

4- صيغة فعل (علقت):

قال الله تعالى:﴿ **وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23)**﴾ يوسف 23.

نلاحظ أن صيغة فعل (غلقت) التي من دلالتها التكثير هي مناسبة لهذه الآية إذ الأبواب كما رأينا عند أصل التفسير سبعة فأفادت التصفيف وأوضحت المعنى وزادته بيانا من خلال معناها الدلالي.

5- صيغة أفعل (أذهب):

قال تعالى:﴿ **وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34)**﴾ فاطر 34.

إن صيغة أفعل من دلالتها التعدية والسيرورة والسلب كل هذه الدلالات والمعاني متحققة في صيغة (أذهب)، فالتعدية في أنهم انتقلوا من حالهم الذي كانوا عليه في الحزن إلى غيره في الجنة، حيث أزاله الله وأذهب عنهم الحزن وساروا إلى النعيم.

6- صيغة افتعل (اكتسب):

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11)**﴾ النور 11.

إن صيغة افتعل من دلالتها أنها تدل على الاجتهاد والطلب، ولما كانت تحمل هذه الدلالة كانت هذه الصيغة (اكتسب) هي الصيغة المناسبة لمعنى الآية والمقام التي قيت فيه إذ فيها سعي واجتهاد متواصل وطلب الآثام والنبي صلى الله عليه وسلم في عرضه من المنافقين.

7- صيغة استفعل (استغفر):

قال تعالى: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (12)** ﴾ نوح 10، 12.

إن صيغة استفعل (استغفر) من دلالتها الطلب والاجتهاد للحصول على الشيء، وطلب الفعل التماسه فنجدها بهذا المعنى مناسبة لطلب الغفران والتوبة من الله، إذ الخطاب موجه لقوم نوح خاصة فكانت لهذه الصيغة مزيد دلالتها في الاجتهاد للحصول على الغفران.

ب- صيغ الأسماء:

1- صيغة فعالة (سقاية):

قال تعالى:﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (19)**﴾التوبة 19.

إن من دلالات صيغة فعالة أنها ما دلت على حرفة أو ولاية لذلك نجد صيغة (سقاية) في الآية الكريمة تدل على الحرفة والصناعة، إذ السقاية صناعة السقي.

2- صيغة الفعلان (الحيوان):

قال تعالى: ﴿**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (64)**﴾العنكبوت 64.

إن من دلالات صيغة الفعلان أنها تدل على التغلب والاضطراب والحركة، وهي ها هنا كانت مناسبة أيما تناسب في صيغة الحيوان في الآية، أي الحياة الحقيقية التي تكون فيها الحركة والاضطراب والتغلب والديمومة، لأنها حياة سرمدية أبدية، لذلك نجد بعض الدلالات محملة في ثنايا الصيغة.

3- صيغة اسم الفاعل (ضائق):

قال تعالى:﴿ **فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (12)**﴾ هود 12.

إن من دلالات اسم الفاعل أن يدل على الحدث والحدوث وفاعله، لذلك جاءت لفظة ضائق من الآية لتدل على أنه ضيف عارض غير ثابت، أي لا يفيد الثبوت لذلك، كان اختيار الله لهذه اللفظة ضائق على صيغة اسم الفاعل مناسبة للآية ولمقام النبوة.

4- صيغة اسم المفعول (مجموع):

قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (103)**﴾ هود 103.

إن اسم المفعول في دلالته ما دل على الحدث والحدوث، وذات المفعول وقد يدل على الثبوت، لذلك نجد لفظة مجموع التي هي اسم مفعول كان لها أثر بارز في الآية، إذ من دلالاتها الاستقبال أي سيجمع ويشهد.

5- صيغة فعلان (الرحمان):

قال تعالى:﴿ **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (3)**﴾ الفاتحة 2، 3.

إن من دلالات الصيغة المشبهة أنها تدل على الثبوت واللزوم والاستمرار، ومن صيغها فعلان التي من دلالتها أنها تدل على الامتلاء، فنجد ها هنا صفة الرحمان كانت مناسبة، إذ هي صفة ثابتة دالة لازمة له، دلت على الامتلاء بالرحمة، فهو رحمان الدنيا والآخرة.

6- صيغة فعيل (قدير):

قال تعالى:﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (65)**﴾ آل عمران 65.

إن من دلالات صيغة فعيل الدلالة على الثبوت، فصيغة قدير هنا صفة ثابتة لله تعالى دالة على عظيم قدرته على خلقه، ينتصر لأوليائه ويخذل أعداءه بقدرته، إذ هو القدير الجبار القهار، فناسبت ها هنا معناها الدلالي على ما ذكره في الآية.

7- صيغة فعال (غفار):

قال تعالى: ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (12)**﴾ نوح 10، 12.

نجد أن صيغة المبالغة (فعال) (غفار) أصل دلالتها تكرير الفعل وتدل أيضا على التكبير والدوام، فلما كانت بهذا المعنى كانت مناسبة للآية الكريمة في إيضاح المعنى المقصود منه سبحانه (غفارا)، أي كثرة المغفرة لعباده الذين تكرر منهم فعل الاستغفار والتوبة لتكرر لهم المغفرة فصيغة غفار من دلالتها التكرار.

8- صيغة فعول (شكور):

قال تعالى: ﴿**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (3)**﴾ نوح 03.

إن صيغة المبالغة (فعول) (شكور) التي من دلالتها لمن دام منه الفعل وكثر، نجده واضحا في الآية الكريمة، إذ صيغة المبالغة شكور وصف بها نوح عليه السلام، لأنه كان كثير الشكر والثناء في كل شيء.

إن القرآن الكريم بحر زاخر من المعاني وكنز الألفاظ والمباني، جمع فضائل اللغة العربية وأساليبها ودقائقها، إلا أن هذا المقام العلي والكلام الرباني يزداد وضوحا وجلالا

وجمالا، يكشفنا عن بعض الخفايا والجوانب الإعجازية فيه، انطلاقا من صيغه وألفاظه وصولا إلى دلالاته ومقاصده.

إن المستوى الصرفي يعد من المستويات المهمة في فهم النص القرآني، فعلم الصرف لا تقتصر وظيفته على ضبط الصيغ ومعرفة المعتل منها وغير المعتل، وإنما يتسع ذلك إلى توجيه النصوص والتحكم فيها وبيان مقاصدها وضبط معانيها فهو من العلوم المهمة التي لا يستغنى عنها في تفسير التفسير كونه يساهم في فهم الآيات وتراكيبها انطلاقا من المفردات والصيغ التي استعملت في الخطاب القرآني، فتتنوع الصيغ الصرفية ففي القرآن الكريم لها أثر في تغيير الدلالة وتحديد وجوه المعاني في النص القرآني، وأنها مختارة من الشارع الحكيم بدقة متناهية بحيث لا تسد صيغة مسد أخرى، أي لكل صيغة سياق تتجاوب معه معنا ولفظا تجاوبا كاملا وتأثر في المعنى، فلكل صفة صرفية في القرآن مقام تتناسب معه وتلتحم معه.

خامسا: السياق القصصي:

لقد جرت العادة قديما وحديثا على التعامل مع القصص القرآني بوصفه قصص الأنبياء، وكثيرا من المؤلفات تحمل هذا الاسم، وبما أن القرآن يستعمل القصص لأهداف الدعوة، وليس من أجل القص في ذاته، فإن قصصه بالرغم من أنها قصص أنبياء فعلا، فإن حكيه يخضع لمسار حياة الأنبياء الذين يورد قصصهم بل يعرض في كل مرة ما يناسب الدعوة المحمدية في مرحلة من المراحل، فالقصص القرآني هو نوع من ضرب المثل، والمثل لا يضرب لذاته ولا من أجل ذاته، بل من أجل البيان، من أجل العبرة، من أجل البرهنة على صحة القضية التي يستشهد فيها بالمثل، فكما يضرب القرآن المثل برجلين أو بجنتين من دون تحديد، وكما يجري حوار بين أهل الجنة وأصحاب النار، والقيامة لم تقم بعد...، فكذلك الشأن في (قصص الأنبياء) التي بذكرها، إنها للذكر أي للموعظة والعبرة، وهكذا فكما أننا لا نسأل عن صحة القصة التي وراء الأمثال التي تضرب لموقف أو حال... لأن المقصود بالمثل ليس أشخاصه بل مغزاه، فكذلك القصص القرآني في نظرنا والصدق في هذا المجال، سواء تعلق الأمر بالمثل أو بالقصة، لا يلتمس في مطابقة أو عدم مطابقة شخصيات القصة والمثل للواقع التاريخي، بل الصدق فيه مرجعه مخيال المستمع ومعهوده[1].

[1]– محمد علي الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006م، ج1،ص258.

لقد عد "الجابري" القصص القرآني نوعا من ضرب المثل، وأرجع الصدق فيه إلى مخيال السامع ومعهوده لا إلى مطابقته للحقيقة التاريخية، ورأى أن المثل صادق بنفسه وإن نطق به حيوان أو غيره، وكذلك القصة عنده وهو ما ذهب إليه محمد حسن فضل الله، الذي يرى بأن القصة فن قديم جديد محبب للنفوس، قريب من القلوب، متميز في أداء المطلوب، يترك أثره في السامع حيث يقول: ..." لهذا السبب وغيره شغلت القصص حيزا من كتاب الله – سبحانه – لأنها شغلت حيزا من حياة الناس كبيرا، فكان في ذلك الكتاب – كتاب الحياة والتشريع – تلبية لحاجات أولئك الناس. وإشباع لرغابتهم، وفي ذلك سر من أسرار صلاحية هذا الكتاب للتشريع والحكم في كل الأزمنة والأمكنة، فالإنسان هو ذات المخلوق إن كان لامعا يشار إليه بالبنان، وإن كان متواضعا في قدراته وإمكاناته... ولو أننا أردنا إقناع شخص أو جماعة بفكرة لكانت القصة هي الطريق الأقصر والأكثر سلامة والأبلغ حجة والأنجح وسيلة، ذلك أن فيها الحوار، والحوار فيه الأخذ والرد، والإيجاب والسلب، ولكن مع ذلك فيه الدليل والحجة، وجاء الإسلام من خلال القرآن الكريم ليكون دين الحوار الذي يتيح للفكر أن يفكر في كل شيء... وعرف المسلمون كيف ينفتحون على العالم من خلال ذلك، وكيف ينطلقون إليه في رسالتهم في أجواء الحوار التي تحترم الإنسان الذي يختلف معها لتقوده إلى أفكارها من موقع احترام الفكر والكلمة والموقف"[1].

فهو قد نبه إلى أهمية الحوار وماله من قيمة إقناعية كون أن القصص القرآنية أنما أريد منها العظة والتذكير، لا السرد القصصي في ذاته ولذاته.

ونبرز ذلك من خلال ما يلي:

– سورة يونس:

– موضوعات السورة: تحدثت السورة في البدء عن الرسالة والرسول، وبينت أن هذه سنة الله في الأولين والآخرين، فما من أمة إلا بعثت إليها برسول، فلا داعي للمشركين لوجب من بعثة خاتم المرسلين "كان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن انذر الناس..." ثم تليها الآيات ببيان حقيقة الألوهية والعبودية، وأساس الصلة بين الخالق والمخلوق، وعرفت الناس بربهم الذي ينبغي أن يعبدوه ويسلموا وجوههم إليه.

[1]– محمد حسن فضل الله، الحوار في القرآن، قواعده، أساليبه، معطياته، الدار الإسلامية، بيروت، ط1، د ت، ص2، 3(مقدمة الكتاب).

وتناولت السورة الكريمة موقف المشركين من الرسالة والقرآن، وذكرت أن هذا القرآن هو المعجزة الخالدة، دالة على صدق النبي الأمي، وأنه يحمل برهانه في تفرده المعجز، حيث تحداهم أن يأتوا بسورة مثله فعجز ومع أنهم سلاطين الفصاحة وأداد البيان " أم يقولوا افتراه، قل فأتوا بسورة مثله وادعوا ما استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين".

وانتقلت السورة لتعريف الناس بصفات الإله الحق، بذكر آثار قدرته، ورحمته الدالة على التدبير الحكيم، وما في هذا الكون المنظور من آثار القدرة الجاهرة التي هي أوضح البراهين على عظمة الله وجلاله وسلطانه.

وتحدثت السورة عن قصص بعض الأنبياء، فذكرت قصة قوم نوح مع قومه، وقصة موسى مع فرعون الجبار، وذكرت قصة النبي يونس الذي سميت السورة باسمه، وكل هذه القصص لبيان سنة الله الكونية في إهلاك الظالمين، ونصرة المؤمنين، وختمت السورة الكريمة بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالاستمساك بشريعة الله والصبر على ما يلقى من الأذى في سبيل الله[1].

قصة سيدنا يوسف:

قال تعالى: ﴿**وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (16)** ﴾يوسف 16.

... في هذه اللحظة اليائسة يلقي الله في أنه ناج، وأنه سيعيش حتى يواجه إخوته بهذا الموقف الشنيع، وهم يشعرون بأنه الذي يواجههم وهو يوسف الذي تركوه في غيابة الجب وهو صغير.

قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15)﴾** يوسف 15.

(فالجواب كان رافدا مهما في تغيير مستوى الأحداث وتحويلها في المكان "البيئة" ليشكل هذا الأخير بسبب غلقه القرآن تدعيما لصدق الرؤيا التي فاجأت يوسف صبيا يرافقه الوحي حافظا ومأمنا من كل المخاطر التي تداهمه لتلون هذه القصة بحدث مأساوي حزين مشحن بالمحن: محنة الإخوة، محنة الجب، وزليخا لاحقا ثم السجن فالجب يصبح منبع حياة ونجاة ليوسف من كيد إخوته لتأخذه بعض السيارة في اتجاهها إلى مصر فمن البيئة الفلسطينية ينتزع بعد الرؤيا مباشرة يواجهها أو يرفع الستار على مشهد رهيب، ترتسم على

[1]– محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص571. 572.

وجوه شخصياته وحركاتهم ومشاعرهم بل وحوارهم سمات المكيدة الشنعاء في حق أخيهم من أبيهم وهو طفل صغير، بريء لا يعلم شيئا يحملهم على هذا الفعل مشاعر الكره والحقد على حي يعقوب﴿**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (8)** ﴾ يوسف 08.

قصة إبراهيم عليه السلام:

أول شيء رفضه الأنبياء جميعا هو عبادة الأصنام، فهذا خليل الرحمان إبراهيم عليه السلام يبدأ بأبيه الذي كان يتخذ آلهة من الأصنام فيقول منكرا عليه هذا العمل قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (74)**﴾ الأنعام 74.

وتتكرر قصة إبراهيم عليه السلام عبر آيات القرآن، ولكن في موضع آخر يوجه النداء إلى أبيه وقومه معا فيقول: ﴿**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (70) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (71)** ﴾ الشعراء 69، 71.

والملفت للانتباه في هذين النصين من كتاب الله أن كلمة أصناما لم ترد في القرآن كله إلا في هاتين السورتين فقط، ودائما في سياق قصة إبراهيم بكلمة أخرى كلمة أصناما خاصة بقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وهنا نكتشف شيئا وهو أن كل كلمة من كلمات القرآن تستخدم استخداما دقيقا جدا من أول القرآن وحتى في آخره.

– من قصة بني إسرائيل:

لقد أنجى الله بني إسرائيل من عدوهم فرعون ومن عليهم بنعم كثيرة، ولكنهم قابلوا هذه النعم بالعصيان والطغيان، هذا هو كتاب الله ينطق بالحق ليعبر لنا عن حقيقة هؤلاء القوم، وقد وضع الله تعالى بحكمته كل كلمة من كلمات هذه القصة بشكل يعجز البشر عن الإتيان بمثله.

قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل تكررت كثيرا في القرآن، هذا التكرر يخفي وراءه معجزة رقمية، فعندما يتحدث القرآن عن نجاة بني إسرائيل من فرعون يتكرر هذا الحدث بنظام دقيق، فكلمة أنجيناكم تكررت في القرآن كله 03 مرات في هذه الآية:

قال تعالى: ﴿**وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (50)**﴾ البقرة 50.

وقال: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (141)﴾ الأعراف 141.

وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى (80)﴾ طه 80.

هذه الكلمة لم ترد في القرآن إلا أثناء الحديث على بني إسرائيل، ولم ترد في أية قصة أخرى، فهذه الكلمة خاصة ببني إسرائيل واستخدمت في وصف الموقف ذاته.

ومع أن السور الثلاثة التي ذكرت فيها الكلمة متباعدة منها ما نزل بمكة ومنها ما نزل بالمدينة، إلا أنها جاءت منسجمة من حيث المعنى اللغوي فلا خلاف بينها.

والعجب فعلا أن ترتيب هذه السور الثلاثة في القرآن يتبع نظاما رقميا.

– من قصة صالح عليه السلام:

النبي صالح عليه السلام وه رسول الله لقوم زاد طغيانهم واستكبروا في الأرض بغير حق، إنهم قوم ثمود، لم يدمرهم الله فجأة، بل أرسل إليهم من يحاورهم ويقيم عليهم الحجة ويقنعهم، وهكذا حال رسل الله عليهم السلام، جاؤوا بالبينات والمجادلة بالتي هي أحسن.

لقد كانت معجزة هذا النبي الكريم هي الناقة التي أيده الله تعالى بها، فما هي الآيات التي تحدثت عن معجزة هذا النبي الكريم؟ وهل يوجد وراء تكرارها معجزة ثانية؟

لقد تكررت كلمة ناقة في القرآن بالضبط 07 مرات، والحديث دائما يخص قصة ثمود مع نبيهم صالح عليه السلام لتستقر هذه الآيات السبعة لنرى أنه لا يوجد تكرار في القرآن، بل نظام متكامل:

قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (37)﴾ الأعراف 37.

قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (77)﴾ الأعراف 77.

قال تعالى: ﴿قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آَيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (64)﴾ هود 64.

قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (59) ﴾ الإسراء.

قال تعالى﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (155)﴾ الشعراء 155.

قال تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (27)﴾ القمر 27.

قال تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (13)﴾ الشمس 13.

لإذن تكررت كلمة ناقة سبع مرات في القرآن، وكما نرى الحديث دائما في الآيات السبعة عن قصة سيدنا صالح عليه السلام مع قومه ثمود، ولو تعمقنا في هذه القصة كيف تكررت في القرآن نجد أنه في كل سورة تذكر فيها هذه القصة نجد أسلوبا جديدا في العبير، وبالرغم من ذلك لا نجد أثرا لأي تناقض أو اختلاف، أليس هذا دليل على أن القرآن كتاب محكم؟

– من قصة المسيح عليه السلام:

لقد أعطى الله تعالى لرسوله وعبده ونبيه عيسى عليه ابن مريم عليه السلام معجزات كثيرة أكرمه بها لتكون دليلا على صدق رسالته في ذلك الزمان.

واليوم مع أننا لا نرى معجزات المسيح عليه السلام، إلا أننا نستطيع رؤية المعجزة الرقمية لتكرار قصة هذا الرسول الكريم في القرآن الكريم، فمن أحب أن يعرف حقيقة المسيح عليه السلام فعليه أن يقرأ القرآن.

ومن معجزات هذا النبي أنه كلم الناس وهو طفل في المهد، وهذه معجزة من معجزات المسيح عليه السلام تحدث عنها القرآن، فقد وردت كلمة المهد في القرآن كله 03 مرات في 03 سور وهي:

قال تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46) ﴾ آل عمران 46.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (110)﴾ المائدة 110.

قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29)﴾ مريم 29.

ولكي تزداد يقينا بمصداقية هذا النظام العجيب وأنه من لدن حكيم خبير، نأتي إلى صفة مهمة أيد الله بها المسيح عليه السلام وهي روح القدس فقال: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (87)**﴾ البقرة 87.

ويتكرر هذا التصريح الإلهي بحرفيته في آية ثانية: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (253)**﴾ البقرة 253.

ثم يؤكد الله تعالى هذه الحقيقة مرة ثالثة بقوله في خطابه للمسيح عليه السلام: ﴿**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (110)**﴾ المائدة 110.

المطلب الثاني: أثر أنماط السياق القرآني الخارجي في فهم النص (غير اللغوي):

هو مجموعة العناصر المكونة للحدث الكلامي وتشمل هذه العناصر التكوين الثقافي للمشاركين في هذا الحدث، والظروف الاجتماعية المحيطة به، والأثر الذي يتركه على المشاركين[1]، ويمكن تقسيمه إلى ما يلي:

أولا: السياق الاجتماعي:

كان العرب قبل القرآن عبارة عن قبائل متفرقة متنازعة، تسود فيهم العصبية القبيلة والهمجية البدوية، فتقوم الحروب بينهم على أتفه الأسباب، تنتشر بينهم الأمية ويتفشى فيهم الجهل، وكان الرق جزء أساسيا في حياتهم، يسخرونهم الأغنياء لخدمتهم ويستعملونهم في تجارتهم، ليس لهم حقوق، وليس هناك قوانين وأسس تحكم العلاقة بين الخادم والسيد فكل سيد يعامل خادمه عيف يشاء.

[1]– عبد الكريم محمد حسن، في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري، مكتبة الآداب القاهرة، 2015، ص23.

وكان لديهم بعض العادات الاجتماعية السيئة مثل: التقليل من شأن المرأة واحتقارها، فكانت زوجة الأب تورث مثلها مثل سائر الحيوانات والماديات، وانتشرت بينهم عادة وأد البنات وهي دفنهم أحياء، فضلا عن التشاؤم والطيرة خاصة من الأنثى.

وانتشرت بينهم الكثير من السلوكيات الخاطئة، مثل شرب الخمر، وكانوا يحبونها حبا حبا، وكذلك الميسر فكانوا يراهنون ويقامرون، وبجانب ذلك ساد فيما بينهم التعامل بالربا.

فجاء القرآن الكريم بمنهج اجتماعي أخلاقي، كان من نتائجه: توحد تلك القبائل المتناثرة في قالب الأخوة الإسلامية، وأزال الفوارق الاجتماعية، وجعل الأفضلية للأتقى، وأكرم المرأة وأعطاها حقها، إما زوجة أو بنتا أو أختا، وألغى العادات والسلوكيات الجاهلية الآثمة مثل: وأد البنات، وشرب الخمر، والتعامل بالربا، ولعب الميسر. فسار المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضهم بعضا، فتعاونوا على نصرة الدين، فسادوا العالم أكثر من ألف عام، وحضارتهم هي الحضارة الباقية الخالدة إلى يوم القيامة، في حين أن جميع الحضارات القديمة اندثرت مع مرور الأيام.

والسياق الاجتماعي يشمل عددا كبيرا من العوامل، من بينها المجموعات الاجتماعية التي ينتهي إليها المتحدث، والعلاقات الاجتماعية التي ينتهي لها المتحدث، والعلاقات الاجتماعية بين المتحدث والمتلقي والتعامل الاجتماعي ونوعية هذا التعامل، والمعرفة المشتركة بين المشتركين في الكلام[1].

ولا يخفى على ذي لب أن القرآن الكريم قد راعى هذا السياق من خلال تشريعاته السمحة فيما يتعلق بأمور الزواج والطلاق والميراث، فضلا عن نهيه عن عادات اجتماعية سيئة كانت سائدة في الجاهلية، لقد راعى المفسرون في توجيه الدلالة التركيبية المتعلقة بالنص القرآني وهو ما يتجلى في عدد كبير من آيات القرآن الكريم، ومن ذلك:

تحليل قوله تعالى: "﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (113)**﴾ البقرة 113.

[1]– أبو الفرج، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1966م، ص98.

استند بعض العلماء في تفسيرها إلى حادثة اجتماعية وقعت في حضرة النبي – صلى الله عليه وسلم – وهي أن يهود المدينة ونصارى نجران تماروا عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتسابوا، فأنكرت يهود المدينة الإنجيل وأنكرت نصارى ونبوة عيسى عليه السلام نجران التوراة ونبوة عيسى – عليه السلام – [1]، فتبين من خلال المعطيات الاجتماعية أن المراد باليهود يهود المدينة والمراد بالنصارى نصارى نجران.

قال تعالى: ﴿**فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (83)** ﴾ يونس 83.

اختلف المفسرون في عود الضمير من قومه هو يعود على موسى أم على فرعون، فدعيت طائفة من المفسرين إلى أن الضمير يعود على موسى أي قوم موسى، لأن من القواعد المحكمة أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور [2] ولأن موسى – عليه السلام – هو المتحدث عنه في الآية.

بينما تدل الحالة الاجتماعية على أن الضمير يعود على فرعون وذلك أن موسى – عليه السلام – آمن معه زوجة فرعون وخازنه وزوجته وشباب من قومه[3].

وقد دل السياق الخارجي عل فائدة تقدم النظم في موضع وتأخره في موضع آخر، ومثال ذلك قوله تعالى في سورة الأنعام" ولا تقتوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم"

وفي سورة النحل: "ولا تقتوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم".

فقد رزق الآباء في سورة الأنعام وآخره في سورة النحل، وذلك مراعاة الحالة الاجتماعية لكل واحد منهما، فالأول يقدم على قتل ولده لأنه فقير، فيبدأ بضمان رزق ولده والثاني يقدم على قتل ولده لأنه غني يخشى الفقر، فبدأ بضمان رزق الولد قبل رزق أبيه.

وقال أيضا: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (70)** ﴾ الإسراء 70.

فالتكريم حاصل لجميع البشر، فجنس الإنسان مكرم عند الله فلا تفريق بين قبيلة وأخرى، ولا بين جنس وآخر ولا سلالة وأخرى، ولا فرق على أساس اللون والجاه، أو اللغة،

---

[1]– الشافعي، أسباب نزول القرآن، دار الإصلاح، الدمام، ط2، 1412هـ، 1992م، ج1، ص36.

[2]– الحلبي، الدار المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق، الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ج6، ص254.

[3]– الزمخشري، الكشاف، ج2، ص263.

فالكل سواء، فقد جاءت هذه الآية على الحالة الاجتماعية، فهي جاءت لإزالة التعدد الطبقي والفوارق الاجتماعية لتحقيق المساواة.

ولم يغفل الإسلام على تحريم بعض الصفات المذمومة التي توقع العداوة وتنشئ الفتن وتلقي بشرها على المجتمع كله مقطعة أوصال المحبة والأخوة، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (12)﴾** الحجرات 12.

تتحدث هذه الآية الكريمة عن الغيبة، حيث نفر الله منها أبلغ وأشد تنفيرا، حيث صور الذي يغتاب بأنه يأكل لحما وهذا اللحم ميت، ليس هذا وحسب، إنما هو لحم أخيه، والنفوس السليمة ترجع وتنفر من سماعه.

وقد نهى الرسول – صلى الله عليه وسلم – عنها، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن ر سول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره" قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: "إن كان فيه ما يقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته"[1].

قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾** الحجرات 11.

وقال أيضا: **﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾** القلم 11.

الهمزة من الهمز، بمعنى الطعن في أعراض الناس، ورميهم بما يؤذيهم، واللمزة من اللمز بمعنى السخرية من الغير عن طريق الإشارة باليد أو العين أو غيرها... وقيل الهمزة الذي يغيبك في الغيب، واللمزة الذي يغيبك في الوجه، وقيل العكس وحاصل هذه الأقوال يرجع إلى أصل واحد وهو الطعن وإظهار الغيب، ويدخل في ذلك من يحاكي الناس وأفعالهم وأصواتهم ليضحك منه[2].

---

[1]– رواه مسلم (2589)، والترمذي، وأبو داود.

[2]– الطنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار النهضة، مصر، 1998، ج15، ص504.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ الحجرات 11.

فالله تبارك وتعالى بحث المجتمع المسلم على الأخذ بالمظهر من أحوال الناس، وينهاهم عن البحث عن الأسرار وتتبع العورات.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ الحجرات 06.

يأمر الله عباده المؤمنين بالتثبيت والاستبقان من الأخبار صيانة للمجتمع من الخصام والتفكك، ومن الاندفاعات وراء أخبار الفساق، وذلك لا يشيع الشك بين المسلمين، فتنقسم الإخوة الإسلامية ولا تعصف بها أخبار وأقوال المشككين الفساق.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (12)** ﴾ الحجرات 12، قال رسول الله – صلى الله عيه وسلم – "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث"[1].

يحرم الله تعالى سوء الظن بالمسلم المستور الحال الظاهر العدالة، النقي النظيف، وذلك دون دليل واضح وبرهان قوي، ففيه هناك حرمات الأشخاص والسيادة لكرامتهم وحريتهم فهو يأمرهم باجتناب الكثير من الظن.

ثانيا: سياق الحال (سياق المقام):

لما كان المعجمي ليس كل شيء في معرفة الكلام، إذ لابد من عناصر غير لغوية لها دخل كبير في تحديد المعنى بل هي جزء من أجزاء معنى الكلام وهي ظروف الكلام وملابساته، وهذا ما يسمى بسياق الحال، الذي يمكن تعريفه بأنه كل الأحوال والظروف والملابسات التي تصاحب النص وتحيط به نطقا وكتابة[2].

---

[1]– رواه البخاري (5144)، ومسلم (2523).

[2]– محمد السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، ص338، 339.

ويطلق على سياق الحال أكثر من مصطلح منها: الحال وهو مصطلح قديم، أو سياق الموقف، سياق المقام، وتقف هذه المصطلحات في مقابل مصطلح سياق المقال[1]، ولعل أقدم عبارتين جمعتا فكرة الساق هما اللتان نادى بها البلاغيون العرب بقولهم: "لكل مقام مقال" و "لكل كلمة مع صاحبتها مقام"، وقد عدتا من نتائج المغامرات الفكرية في دراسة اللغة في الفكر المعاصر[2].

لإن فكرة المقام هي المركز الذي يدور حوله علم الدلالة، وهو الأساس الذي تبنى عليه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال[3]، وبالرغم من علم الدلالة المعاصر يتناول جوانب أخرى غير نظرية السياق أو فكرة المقام، إلا أن نظرية السياق تشكل ركنا مهما من أركان علم الدلالة، لأن التحليل اللغوي للنص أو الكلام لا يعطينا إلا المعنى الحرفي للنص، وهو معنى فارغ تماما من محتواه الاجتماعي التاريخي، ومنعزل عن كل ما يحيط به النص من القرائن التي تحدد المعنى[4].

وقد حرص القرآن الكريم على اختيار الالفاظ بحسب سياق المقام ولدليل على ذلك نذكر الأمثلة التالية:

المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (231)**﴾ البقرة 231. فالخطاب هنا للأزواج، والمراد ببلوغ الأجل: قرب انتهاء العدة.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (232)** ﴾ البقرة 232.

إن كلمة البلوغ لفظ مشترك، يطلق في اللغة على المقاربة، وعلى الانتهاء إلى الشيء، وقد ورد هذا اللفظ في آيتين متجاورتين، كان للسياق الفضل في اختيار المعنى

---

[1]– يحيى عبابنة، علم اللغة المعاصر – تطبيقات ومقدمات – دار الكتاب الثقافي، الأردن، 1426هـ، 2005م، ص37.

[2]–تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص20، 21.

[3]– المرجع نفسه، ص337.

[4]– حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، 1980م، ص219.

المناسب لهذه اللفظة في الموضعين، فالخطاب في الآية الأولى للأزواج، والمراد ببلوغ الأجل: قرب انتهاء العدة، أما في الآية الثانية: الخطاب موجه للأولياء، والمعنى أن الزوج إذا طلق زوجته وانقضت عدتها وأراد أن ينكحها من جديد، فليس لولي أمرها أن يمانع.

المثال الثاني: وقد اختلفت نظرة العلماء في بيان وجه المغايرة بين الصيغتين في سياقهما، فذهب الخطيب الاسكافي معتمدا على السياق الحالي – إلا أن سياق آية هو تقدمها: ﴿**أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (20)** ﴾ هود 20، فهؤلاء ضوعف لهم العذاب، لأنهم كما وصفهم الله بقوله: ﴿**الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (19)**﴾ هود 19، فهم لم يكتفوا بضلالهم وإنما يضلون غيرهم، ليكونوا في الضلال سواء، فاستحقوا تضعيف العذاب، ولما كانوا استحقوا الوصف بالخسران بصيغة التفضيل، أما سياق آية النحل فلم يخبر عن الكفار أنهم مع ضلالهم أضلوا من سواهم، وإنما جاء وصفهم بقوله سبحانه: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (107)** ﴾ النحل 107.

فهؤلاء لم يذكر فيهم ما ذكر في آية اليهود من مضاعفة العذاب، كما أن فواصل الآيات قبلها، مثل: الكافرون والغافلون ناسب مجيئ الخاسرون[1].

المثال الثالث: تغايرت الصفتان – ساحر وسحار – في سياقي الآيتين: الأولى في سياق قوله تعالى: ﴿**يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (37)**﴾ الشعراء 37.

فالسياق الحالي هو المحدد الأساس لدور الكلمة في الاستعمال اللغوي جواب لقول فرعون فيما استشارهم فيه من أمر موسى بعد قوله " إن هذا لساحر عليم" فأجابوه بما هو أبلغ من قوله، رعاية لمراده، أما قوله تعالى "يأتوك بكل ساحر عليم" فجاء بصيغة المبالغة سحار، ليطمئنوا نفسه، ويسكنوا بعض قلقه.

المثال الرابع: قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6)**﴾

[1]– محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، تح: الدكتور محمد مصطفى أيدين، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، ص753.

التحريم 06، وورد في قوله تعالى مخاطبا للكافرين: " ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21)**﴾ البقرة 21.

يربط أبو حيان بين سياق اللفظين وبين نزول السورتين – ترتيبا – حيث ورد لفظ النار منكرا في سياق سورة التحريم المكية، وجاء معرفا بالكلام في آية البقرة المدنية، فسورة التحريم نزلت في مكة قبل البقرة، لذا جاءت نكرة في أول النزول، ثم عرفت فيما نزل بالمدينة، يقول: "وعرف النار هنا، لأنه قد تقدم ذكرها نكرة في سورة التحريم، والتي في سورة التحريم نزلت بمكة وهذه المدينة، وإذا كررت النكرة سابقة ذكرت ثانية بالألف واللام وصارت معرفة؛ لتقدمها في الذكر ووصفت بالتي وصلتها والصلة معلومة السامع؛ لتقدم ذكر قوله: " نارا وقودها الناس والحجارة" أو السامع ذلك من أهل الكتاب قبل نزول الآية[1].

المثال الخامس: قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (61)**﴾ البقرة 61.

وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (21)** ﴾ آل عمران 21.

وقوله تعالى: ﴿**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (112)**﴾ آل عمران 112.

هذه المغايرة بين التعريف والتنكير للفظة الحق ترتبط بالسياق المقامي المصاحب لكل لفظة، وهذا ما إنساق إليه ابن الزبير في تحليل الصفتين، إذ ربط بين مواضع البقرة وآل عمران وسياق السور فقال: "ولكا كانت الأولى في سورة البقرة إنما هي في سلفهم، فمن لم يشاهد أمر محمد صلى الله عليه وسلم وقد وقع في الإفصاح فيها بكفرهم بعد تعريفهم بذكر آلاء ونهم وقد ورد فيها أن بعض تلك المرتكبات، أو أكثرها قد عفي عنهم فيها، ولا شك أن بعضهم قد سلم مما وقع منه الأكثر من كفرهم... فهم وإن وصفوا من الكفر والاعتداء

[1]– أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، 1412هـ، ج1، ص249.

وموالاة التمرد والاعتداء وحال معاينة البراهين... فناسب حال أولئك الذين لم يشاهدوه ما وقع التعبير به من قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ** ﴾ البقرة 61، إذ أن ليس المعرف في قوة المنكر المرادف لقولك بغير سبب، وأيضا فقد تكرر عندهم أن مسوغ قتل النفس تقدم قتل النفس بغير الحق، قال تعالى: ﴿**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾المائدة 45.

وتقرر عندهم رجم الزاني المحصن، وقد عرفنا ذلك دينهم بالخبر الصحيح، وأنهم اعترفوا بذلك عند النبي صلى الله عليه وسلم بعد إنكارهم... وكيف ما كان فقد استقر عندهم ما يسوغ القتل ويوجبه بعد الإيمان، وقد علموا أن الأنبياء – عليه السلام – مبرؤون من ذلك كله، فقوله تعالى: " بغير الحق" أي بغير وجه الحق المبيح للقتل، فالألف واللام للعهد في المسوغ المتقرر في شريعتهم فقد افترق مقصد الآيتين، وأما الأولى من آيتي آل عمران فخاصة بالمتمادين منهم على الكفر، ولا تتناول الآية من أولها إلى آخرها خلافة فهي كالآية الثانية فيما أعطته ودلت عليه من التمرد والتمادي على الضلال فناسبها التذكير كالتي بعدها وهما معا بخلاف آية البقرة، إذ لم يتقدم في هاتين ما تقدم في تلك ولا حالة المذكورين في هاتين كحال من ذكر في تلك[1].

المثال السادس: قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (95) فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (96) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (97) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (98) وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ**

[1]– محمود بن حمزة الكرماني ، البرهان في متشابه القرآن، تح: أحمد عز الدين بن عبد الله خلف الله، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط2، 1418هـ، ص30.

السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (99) ﴾ الأنعام 95-99.

قال تعالى: "وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم... وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء... وهو الذي أنشئ جنات معروشات وغير معروشات..."

وأرى أن الصيغتين ليستا بمعنى واحد من حيث الدلالة السياقية، فهناك فرق دقيق بينهما جاء القرآن الكريم به؛ لتخصيص كل آية بالصيغة التي ورد فيها، لأن زيادة في المبنى تعطي زيادة في المعنى، كما أن القرآن الكريم لا يستعمل كلمة بصيغة محددة في موطن، ويستعملها بصيغة متماثلة في موطن آخر إلا لسبب يقتضيه سياق النص، فكل لفظة اختصت بموطنها المناسب، فسياق الآية الأولى في بيان قدرة الله عز وجل وآياته الباهرة في خلقه، وسياق الآية الأخرى في بيان الأطعمة وما يحلله ويحرمه أهل الكفر؛ افتراء على الله، وبيان عقائدهم الباطلة.

المثال السابع: سبق الأمر بالسجود في سورتي الحجر و ص قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ**﴾ سورة ص71، وقال: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ** ﴾ الحجر 28.

هذين الآيتين يدلان على ماهية مادة خلق آدم عليه السلام فلما صرح الله سبحانه وتعالى بمادة خلق الإنسان (الطين/ الصلصال)، وإن الله عز وجل خلق من هذه المادة المهينة سيد المخلوقات آدم عليه السلام، فورود الصيغة الاسمية في سورتي الحجر وص راجع إلى ما اقتضاه وتطلبه سياق المقام على نحو التشريف والتكريم.

المثال الثامن: الآية في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ البقرة 58.

والآية الثانية في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ الأعراف 161.

أولا: قال تعالى من البقرة: "وإذا قلنا ادخلوا هذه القرية"، وقال في الأعراف "وإذا قيل لهم اسكنوا هذه القرية"، فلماذا عبر في البقرة بالدخول وفي الأعراف بالسكنى؟!!

جاءت ادخلوا في سورة البقرة واسكنوا في سورة الأعراف، أن ذكر الدخول في سورة البقرة لا يلزم منه السكنى، وذكر السكنى يلزم منه الدخول، فلا يمكن أن تسكن في مكان إلا إذا كنت داخلا فيه، لذلك عبر في البقرة بالدخول وهو ما أمرهم الله عز وجل بع ابتداء، وجاء في سورة الأعراف بأن المراد به السكنى، وتبيين وجه وزود العبارتين على الترتيب.

المثال التاسع: سورة الأنبياء، الشعراء، الصافات، الزخرف.

قال تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ** ﴾ الأنبياء 52.

قال تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ** ﴾ الشعراء 70.

قال تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ** ﴾ الصافات 85.

قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ** ﴾ الزخرف 26.

الواضح من الآيات آنفة الذكر أن إبراهيم عليه السلام وجه خطابه إلى قومه الضالين مقرنا في ذلك والده مع قومه، أما فيما يخص آية الزخرف فأدخل إبراهيم عليه السلام أباه مع قومه في خطاب التبرؤ من عبادة الأصناف.

ثالثا: السياق التاريخي:

أشار القرآن الكريم إلى حقائق تاريخية ذات صلة وثيقة بحياة العرب عندما يذكر أماكن وأخبار خارجة عن محيطهم فلم يخاطبهم، إلا بما يفهمونه ويعهدونه لاسيما أن للعرب أسفار وتجارات واتصالا تربطهم بالعالم الخارجي، فالقرآن نوه تجارتهم، قال تعالى: ﴿**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2)**﴾ قريش 1- 2، وكانت مكة مركزا للقوافل التجارية.

وفي هذا السياق لا يمكن فهم الآيات بمجرد الأدوات اللغوية بل لابد من الإحاطة بجوانبها التاريخية والوقوف على تفاصيلها الحقيقية[1]، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ** ﴾ سورة الفيل 1، وقوله: ﴿**قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ** ﴾ البروج 4، وقوله ﴿**وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ**﴾ الفجر 9، وقوله: ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ**

[1]- الشريف المرتضى، الدلالة القرآنية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 2004م، ص184.

جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ سبأ 15، وقوله: **﴿غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3)﴾** الروم 2-3، فضلا عن ذلك في سورة التوبة لا تفهم بمعزل عن تفاصيل غزوة تبوك، وسورة الأنفال تكاد تكون مختصة بغزوة بدر وسورة الحشر فيها تسجيل تفصيلي لغزوة بني النضير، وسورة الفتح مرتبطة بصلح الحديبية وفتح مكة، وسورة الأحزاب سميت بإحدى الغزوات المشهورة وهي غزوة الخندق، أما سورة المزمل، والمسد والمدثر، والجن، والفيل، والكوثر والعلق والقلم والتحريم والنور، لا يأتى لنا فهمها فهي كاملا مالم نحيط إحاطة تامة بتفاصيل سيرة المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، وهناك آليات لفهم القرآن من خلال سياقه التاريخي فأخذ المثال الآتي نصيب البنت من الميراث، فرأى الجابري في قوله تعالى: **﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾** النساء 11.

فالجابري فسر هذه الآية تفسيرا عقلانيا وتاريخيا حين ذكر أن تقدير الشارع لنصيب الأنثى في الميراث بنصف نصيب الذكر جاء مراعيا للوضع السائد في الجاهلية الذي كانت المرأة فيه محرومة من الميراث بشكل كلي، فجاء الإسلام بحل فمنحها نصف نصيب الذكر في ذلك العهد، أما اليوم فقد أصبحت المرأة تشتغل وتكسب المال، وتشارك في النفقة على البيت والأولاد، وقد تعدد الزوجات، وأمام هذا الوضع يقول الجابري: فلا مانع من المساواة بين الرجل والمرأة[1].

وفي قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾** التغابن 14.

لا ينبغي أن يفهم من هذه الآية كراهية الأزواج والأولاد والبعد عنهم، وإنما ينبغي أن تفهم على ضوء سياقها التاريخي الذي وردت فيه؛ وهو أن أناسا من قبائل العرب كان يسلم الرجل أو النفر من الحي، فيخرجون عن عشائرهم ويدعون أزواجهم وأولادهم وآبائهم عامدين

[1]- الجابري، التراث والحداثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1982م، ص54، 56 (بتصرف).

إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فتقوم عشائرهم وأزواجهم وأولادهم وآباؤهم، فيناشدون الله أن لا يفارقوهم، ولا يؤثروا عليهم غيرهم، فمنهم من يرق ويرجع ومنهم من يمضي حتى يلحق النبي – صلى الله عليه وسلم – فنزلت الآية لتخبر أن الأزواج والأولاد بقدر ما هم نعمة من الله يمن بها الإنسان، فهم في الوقت نفسه امتحان واختبار له، لتعلم أن يضحي بدينه لأجلهم، أم يضحي بهم لأجل دينهم في حال استدع الأمر منه التضحية[1].

السياق التاريخي لسورة يوسف:

كان نزول سورة يوسف على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من عوامل التثبيت والمساواة وتخفيف الآثام والحزن في مرحلة الشدة والوحشية، وفقد النصير بوفاة عمه أبو طالب وزوجته خديجة بن خويلد – رضي الله عنها – في مكة، وفي السورة الكريمة إشارة إلى أن الفرج آت لا محالة مهما اشتدت المصاعب، وتكالب أهل الباطل، وذلك من خلال استعراض ما مر به يوسف عليه السلام من شدائد وفتن ومصائب ابتداء من قصته مع إخوته، وإلقائه في البئر قم انتقاله إلى بيت العزيز، وتعلق امرأة العزيز به ومراودته عن نفسه، مرورا بدخوله السجن وصبره على كل المصائب في سبيل الله، وتحمل أعباء الدعوة إلى الله تعالى، وبعدها انقلاب الحال وخروجه من السجن عزيزا كريما، وتوليه ملك مصر، وفي السورة الكريمة رسالة للنبي – صلى الله عليه وسلم – والصحابة – رضي الله عنهم – مفادها أن الصبر طريق التمكين وأن الله تعالى ينصر أولياءه وعباده الصالحين[2].

السياق التاريخي لسورة يس:

وردت في سورة يس قصة من القصص القرآني، وهي قصة أصحاب القرية والرجل الصالح الذي لقب بمؤمن آل يس، وقيل أن اسمه حبيب بن مرة أو حبيب النجار، لأنه كان نجارا، كما نقلت بعض الروايات، وقد أخبرت سورة يس عن أصحاب القرية الذين أرسل الله تعالى لهم رسولين يدعوهم للهداية فكذبوهم، فأرسل الله تعالى رسولا ثالثا وكذبوه ، كذلك تآمروا على الرسل الثلاثة، وكان في القرية حبيب الصالح، الذي جاء يسعى ينهاهم عن أعراضهم، وينصحهم بالإيمان بالله واتباع الرسل وعد إيذائهم، وذلك كما في قوله تعالى: " وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المسلمين" فلم يستجيبوا لحبيب،

[1]– إسلام ويب، مقال بعنوان منهج السياق القرآني، تاريخ النشر: 2009/05/18م، تاريخ الزيارة 2020/07/27م.

[2]– محمود المصري، قصة سيدنا يوسف – عليه السلام – القاهرة، مكتبة الصفا، ط1، ص12، 13.

وأشارت الآيات إلى أنهم قالوه من قول الله تعالى: " قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون" ففي هذه الآية لكناية أن حبيب قتل شهيدا، حيث اتبعت دعوته وموعظته لهم بأمر الله تعالى له بدخول الجنة مباشرة من دون انتقال[1].

السياق التاريخي لسورة الشرح:

قال تعالى: ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (2) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (7) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (8)**﴾ الشرح1- 8، فالآية الأولى: خطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم أي يا محمد قد شرحنا لك صدرك لقبول النبوة، وهو السبب وراء قدرتك على القيام بالدعوة، وتحمل أعباء النبوة وحفظ الوحي.

الآية الثالثة: أي الذي عليك حمله؛ فمن كرم الله أنه وضع عزلا هذه الأوزار، التي لو بقيت لسمع نقيض ظهرك من ثقلها.

الآية الرابعة: من نعم الله تعالى على رسوله رفع ذكره في الدنيا والآخرة، فعلى سبيل المثال: قول أشهد أن لا إله إلا الله يجب أن يتبع بقول: أشهد ان محمدا رسول الله، كذلك ذكر الرسول في الآذان، والأمر بالصلاة والسلام عليه.

الآية الخامسة: أي أن كل عسر يتبعه يسر وهذا وعد حق من الله تعالى.

الآية السادسة: توكيد على ما جاء في الآية السابقة من اتباع اليسر لكل عسر، وقد قال النبي " صلى الله عليه وسلم" في ذلك: "لتن يغلب عسر يسرين".

الآية السابعة: أي إذا انتهيت من صلاتك وعبادتك أو انتهيت من التبليغ والدعوة له، فاجتهد في الدعاء والسعي لطلب الرزق واطلب حاجتك من الله.

الآية الثامنة: الأمر بالتوجه إلى الله تعالى بالتضرع إليه رهبة منه ومن عذاب النار ورغبة فيما لديه من المغفرة ودخول الجنة"[2].

---

[1]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج22، ص360، 370، بتصرف.

[2]- مرتاض المطهري، تفسير سورة الشرح، هدى القرآن، موقع متخصص في القرآن الكريم وعلومه التابع لحوزة الهدى للدراسات الإسلامية، مقال تشرفي، 21 مارس 2008م، تاريخ الزيارة: 27 جويلية 2020.

الخلفية التاريخية:

ازدادت جرأة المشركين واليهود والمنافقين إثر الهزيمة التي لقيها جيش الإسلام في معركة أحد (شوال سنة 03 هـ)، نتيجة خطأ الرماة الذين عينهم رسول الله "صلى الله عليه وسلم" على المضيق ليحموا ظهر المسلمين[1]، وكان هؤلاء الأعداء يظنون أنهم سوف يفلحون في القضاء على الإسلام والمسلمين، ولنا أن نفرع تزايد جرأتهم من الأحداث التي وقعت في العام التالي لمعركة أحد مباشرة، إذ لم يكد ليمضي على أحد غير شهرين حتى أعدت قبيلة أبي أسيد (من قبائل نجد) عدتها لمواجهة المدينة المنورة فاضطر النبي "صلى الله عليه وسلم" لأن يرسل سرية أبي سلمة ليمنعها من ذلك، وفي صفر العام الرابع للهجرة سألت قبائل عضل و الغارة رسول الله "صلى الله عليه وسلم" أن يرسل معهم نفرا يفقهونهم في دينهم ويقرؤونهم القرآن ويعلمونهم شرائع الإسلام فأوفد معهم ستا من الصحابة لكنهم ما إن وصلوا إلى الربي (بين جدة ورابغ) حتى أغروا بهؤلاء العزل كفار هذيل فقتلوا منهم أربعة وباعوا اثنين في مكة للأعداء هما حبيب بن عدي وزيد بن الدثنة رضي الله عنهما، ثم حدث في نفس الشهد كذلك – شهر صفر – أن بعث الرسول "صلى الله عليه وسلم – إلى نجد وفدا للدعوة والتبليغ ضم أربعين – وقول آخر سبعين – من شباب الأنصار بناء على صلب زعيم بن عامر، لكنهم غدروا بهم أيضا وهجمت عليهم فجأت قبائل بن سليم "عصية ورعل وذكوان" وحاصروهم عند بئر معونة وقتلوهم عن آخرهم، وفي تلك الأثناء أيضا تشجعت بنو النضير – من يهود المدينة – وسلكوا سبيل الغدر والتآمر في أحداث متتالية حتى تآمروا في ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة على قتل النبي "صلى الله عليه وسلم" نفسه في جمادى الأولى من نفس السنة، أخذ بنو ثعلبة وبنو محارب – وهما قبيلتان من بني غطفان – عدتهم للهجوم على المدينة وخرج النبي "صلى الله عليه وسلم" بنفسه ليصدهم، وهكذا ضلت آثار الهزيمة التي من بها المسلمون في أحد بادية ظاهرة طوال سبعة أو ثمانية أشهر متتالية.

لكن عزم محمد "صلى الله عليه وسلم" وعاطفة التضحية المتأججة في نفوس الصحابة الكرام وهو الذي غير وجه الأحداث في زمن وجيز بعد أن جعلت المقاطعة الاقتصادية التي فرضها العرب حياة أهل المدينة مرة قاسية، وأخذت القبائل المشتركة من حواليهم تغير عليهم بل وصار اليهود المنافقون داخل المدينة نفسها أصدقاء المسلمين في

[1]– محمد بن صالح العاثمي، التفاصيل في تفسير سورة آل عمران، دار القلم، 1978م، ص240.

الظاهر، أعداء لهم في الباطن، إلا أن تلك الفئة القليلة من المؤمنين الصادقين تحت قيادة رسول الله "صلى الله عليه وسلم" قامت بعدة عمليات أفادت الإسلام هيبته أكثر من قبل.

السياق التاريخي في سورة الأحزاب:

وبعد أن حققنا سورة النور نزلت بعد سورة الأحزاب بأشهر في النصف الآخر من سنة ست، علينا أن ننظر نظرة في الظروف التي نزلت فيها هذه السورة.

أن التقدم الذي أخذت الحركة الإسلامية تحقيقه في بلاد الغرب بعد انتصارها في غزوة بدر بلغ من قوته واستحكامه حتى غزوة الخندق حيث بدأ المشركون واليهود والمنافقون والمتربصون لها ألف حساب ويشعرون بأن هذه القوة الفتية لا يمكن أن تهزم بمجرد الأسلحة والجنود، فقد كانوا أغاروا على المدينة مجندين بعشرة آلاف من رجالهم في غزوة الخندق، لكن لقوا فيها هزيمة منكرة فرجعوا إلى مكة خائبين خاسرين بعد أن شعر وأعلن النبي "صلى الله عليه وسلم" في أصحابه لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم، وكأن ذلك إعلان منه "صلى الله عليه وسلم" أن القوى المعادية للإسلام قد خارت عن البدء بالإقدام على الحرب وأن الإسلام لن يحارب بعده حرب الدفاع ولكنه سيحارب حرب الإقدام وقد كان ذلك تحليلا صحيحا للظروف وكان يشعر بها العدو نفسه[1].

تفسير سورة الكهف:

ولننظر الآن إلى السورة في سياقها التاريخي:

سورة الكهف مكية وهي الثامنة والستون في ترتيب النزول: قبلها الغاشية وبعدها النحل.

وقد ذكر محمد بن اسحاق في سبب نزول هذه الآية الكريمة عن ابن عباس قال بعثت قريش النضر بن حارث وعقبة ابن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، وقالوا لهما سلوهم يا محمد، وصف لهم صفته وإخبارهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء فخرجا حتى أتيا المدينة فسألا أحبار يهود عن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" ووصف لهم أمره وبعض قوله وقال: أنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا قال: فقالوا لهما: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو بني مرسل وإلا فرجل متقول فقروا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم

[1]– ابن هشام الأنصاري، السيرة النبوية، دار الكتاب العربي، ج03، ص266.

فإنهم قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارف الأرض ومغاربها ما كان نبؤه؟ وسألوه عن الروح ما هي؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم، فأقبل "النضر" و "عقبة" حتى قدما على قريش فقالا: يا معشر قريش قد جأناكم بفصل ما بينكم وبين محمد قد أمرنا أحبار اليهود أن نسأله عن أمور فأخبرهم بها فجاؤوا رسول الله "صلى الله عليه وسلم" فقالوا: يا محمد أخبرنا، فسألوه عما أمروهم به فقال لهم رسول الله "صلى الله عليه وسلم" أخبركم غدا عما سألتم ولم يستثن (أي لم يقل إن شاء الله) فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله "صلى الله عله وسلم" خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له وحيا ولا يأتيه جبريل عليه السلام وحتى أرجف أهل مكة فقالوا: وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء عما سألناه عنه وحتى أحزن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" مكث عنه وشق عليه يتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبريل – عليه السلام – من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه، من خبر الفتية والرجل الطواف وقول الله عز وجل.

خـــاتمة

خاتمة:

إنّ القرآن الكريم كتاب محكم فليس فيه جملة، ولا كلمة، ولا حرف إلا وقد وضع في موضعه المناسب بحيث لو غير مكانه أو أبدل بغيره لأحدث ذلك خللا في النسق والبناء، وقد توصلت من خلال تناولي لموضوع أثر السياق في فهم النّص القرآني إلى جملة من النتائج أهمّها :

- إنّ القرآن الكريم مؤثر من جميع النّواحي، فهو مؤثر بألفاظه وأسلوبه العجيب وتراكيبه المحكمة، وبلاغته الفذّة وهذا ما لا يجتمع في أي كتاب آخر .
- للسّياق أهمية كبرى في تعليل اختيار الألفاظ والصياغة، فلكلّ لفظ أو صيغة في القرآن الكريم دلالة خاصة يقتضيها السياق .
- السّياق يرشد إلى تبيين المجملات وتمييز المشكلات، وترجيح المكتملات، وتقرير الواضحات، وتخصيص العموم وتقييد المطلق .
- لكلّ سياق من سياقات الخطاب القرآني خصوصيّته وأثره على المعنى، فأسباب النزول تركز على معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومن المعلوم أنّ هناك من الآيات ما يصعب فهم المراد منها ويقع الخطأ في تفسيرها في حال الجهل بأسباب نزولها .
- تسهيل الحفظ وتسهيل الفهم وتثبيت الوحي في ذهن كلّ من يسمع الآية إذا عرف سببها.
- التّمكن من فهم القرآن من خلال الواقع الذي كان ينزل فيه وبذلك يستطيع الداعية أن يضع نصوص الكتاب في موضعها .
- تمييز الناسخ من المنسوخ تقوم على معرفة الكي من المدني .
- السّياق التداولي يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو هو دراسة معنى المتكلم، فدوره فعال في تواصليّة الخطاب؛ إذ به يحدّد معنى الخطاب والعلاقة التّفاعليّة بين المتخاطبين.
- لكلّ نمط من أنماط السياق خصوصيّته فالسياق الصرفي يركز على السوابق واللواحق والزوائد، فكل زيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى .
- يرتبط السّياق الصرفي بالسّياق النّحوي لتفاعل الصرفي والنحوي في سياق واحد .

- السّياق النّحويّ يبرز بواسطة البنية النّحوية وعلاقات الكلمات ووظائفها وموقعها من حيث التّقديم والتّأخير والحذف وتحويل الأفعال .
- يتجلى السّياق الصوتي من خلال التّنغيم في الآيات فضلا عن الإيحاء الصوتي للكلمات القرآنيّة .
- للفاصلة القرآنية أثر كبير في تكوين السّياق الإيقاعي وذلك الذي أطلق عليه القدامى عباراة مراعاة الفواصل أو تناسب الفواصل .
- إنّ السّياق القصصي يعمل على تناسق النّص من خلال التكرار والتناسب بين الآيات ومرجعية الضمائر ولذلك تترابط الجمل في القصة الواحدة وتسهم في سرد أحداثها ومشاهدها وكلّ قصّة يربطها مع غيرها من القصص روابط مختلفة، فضلا عن ترابط القصص القرآنيّ وغيره من موضوعات القرآن على مستوى السورة الواحدة والنص القرآني كلّه، وهذا فيما يخص السّياق الداخلي اللّغوي .

ويشتمل السياق الخارجي على سياقات متعددة ولكلّ منها خصوصيته، فسياق الحال يعنى بكلّ الظروف والأحوال والملابسات التي تصاحب النّص وتحيط به نطقا أو كتابة ويمكن التعرف عليه في النّص القرآني من خلال علم المناسبة وسبب النزول.

- يعتني السّياق التاريخي برصد الحقائق التاريخية ذات الصلة بحياة الناس وقد أشار القرآن إلى الحوادث والغزوات والتجارات والأسفار .
- يفيدنا السياق الاجتماعي على التعرف على عادات وقيم اجتماعية تحدث عنها القدامى وماهية العلاقات الاجتماعية زمن الدعوة الإسلامية ومقارنتها بعلاقات زمن الجاهلية .

وبناء على ما تمّ التوصل إليه من نتائج البحث يمكن نخلص إلى جملة من التوصيات تخدم موضوع الدراسة، وهي كالتّالي:

أولا : موضوع السّياق من أهمّ الأبواب الّتي يمكن من خلالها الكشف عن معاني القرآن الكريم وبيان أوجه بلاغته، وعليه ينبغي أن تُسخّر جامعتنا وتُكثّف من الدّراسات حوله، من خلال البحوث العلميّة والأيام الدّراسيّة .

ثانيّا : إذا كان فهم النّص القرآنيّ يقوم على دلالة السياق كما أشرنا إليه من خلال هذا البحث فإنّه يدعونا إلى تطبيقه على القرآن الكريم كلّه، من خلال توزيعه على مباحث

تقوم بدراسته على ضوء سور القرآن ومقاطعه، فتخلُص الجامعة بعد جهود الطلبة وتوجيه الأساتذة إلى عمل متكامل يفسّر القرآن الكريم بناء على نظرية السّياق ودلالته.

ثالثا : دراسة السّياق على ضوء كتب التّفسير، فيعين ذلك على بيان أسبقية علماء المسلمين في توظيفه.

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح، وأن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا، وأن يجعله حجة لنا لا علينا، إنّه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

قائمـــــة

المصادروالمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

قائمة المصادر والمراجع

.

المعاجم والقواميس:

1. ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق وضبط محمد هارون، دار الجيل بيروت، لبنان، ط2، 1991م
2. ابن منظور ابن مكرم المصري، لسان العرب، تح، عبد الله الكبير ومحمد أحمد حسب الله ومهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط1، د ت، ج 3
3. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، الدار المصرية، التأليف والترجمة، د ط، مصر، د ت، ج14
4. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، 1412هـ، ج1
5. أبو حيان، البحر المحيط، تحقيق صدفي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ج4
6. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية (دمشق، بيروت)، ط1، 1212هـ
7. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ط1، 816هـ، 1413م
8. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار الإحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ، ط2 ،2002، ج1

الكتب :

1. إبراهيم السمرائي، الفعل زمانه وبنيته، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1983م
2. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة النهضة، مصر، 1975
3. إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي، دراسة تطبيقية، دار الآفاق، الجزائر، ط1، 1999م
4. ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار النهضة مصر، للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ج2

5. ابن السري الزجاج، معاني القرآن وأعرابه، تح: عبد الجليل عبده مثلبي، ط1، 1408هـ، 1988م
6. ابن تيمية تقي الدين، مجموع الفتاوى، تح: أنوار الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، ط3، 126هـ، 2005م
7. ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تح: عدنان زوزور، دار القرآن الكريم، بيروت، ط3، 1399، 1979
8. ابن جزي الكلبي التسهيل لعلوم التنزيل، ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم دار الكتاب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1415هـ، 1995م، ص13.
9. ابن جني، اللمع في العربية، تح: حامد المؤمن، علم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط2، 1405هـ، 1985م، ص269.
10. ابن دقيق العيد، أحكام الأحكام شرع عمدة الأحكام، تح: مصطفى شيخ مصطفى ومدثر سندس، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط1، 1426هـ، 2005م، ج2
11. ابن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422 هـ ، ج1
12. ابن قنينة، المعارف ترجمة ثروة عكاشة دار المعارف، القاهرة، دط، د ت
13. ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، تح: عبد الرحمان الوكيل، مكتبة ابن تيمية، دط، د ت
14. ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين وباب السعادتين، تح: محمد أجمل الاصلاحي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع
15. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، 1999/1420، ج1
16. ابن هشام الأنصاري، السيرة النبوية، دار الكتاب العربي، ج03
17. ابن هشام الأنصاري، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، لبنان، بيروت، ط6، 1985م
18. أبو الفتح ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، د ط، د ت، ج1

19. أبو الفرج، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1966م
20. أحمد العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، تح: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، المكتبة السلفية، مصر، ط1، د ت
21. أحمد بن محمد بن علي الماقري الفيومي، المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت، ج1
22. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات دار الفكر، ط3، 1429هـ، 2008م
23. أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص283 وما بعدها، عبد القادر، الأصوات اللغوية
24. أحمد مداس، لسانيات النص، نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، جدار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان ، ط2، 2009م
25. الأزهري أبو منصور محمد، تهذيب اللغة، الدار المصرية، التأليف والترجمة، د ط، مصر، 1966م، ج12
26. اسماعيل بن عمرو بن كثير، تفسير القرآن الكريم، دار الكتابة الحديث، الجزائر، دط، 2010، ج2، ص1162.
27. الألوسي، روح المعاني تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، ج2
28. بالمر، علم الدلالة، ترجمة صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1995م
29. بدر الدين الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق: عامر الأشقر، وزارة الشؤون الإسلامية، الكويت، ط2، 1413هـ
30. برهان الدين إبراهيم، إرشاد السالك الى حل ألفية ابن مالك، تح: محمد بن عوض بن محمد السهلي، مكتبة أضواء السلف، ط1، 1922هـ، 2002م
31. البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي القاهرة، 1404هـ، 1984م
32. البيت من بحر المتقارب، نسبة المبرد الى عدي بن زيد، المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج3

33. بير غيرو، علم الدلالة، ترجمة منذر عياشي، دار طلاس، دمشق، ط1، 1988م
34. تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2004م،
35. تمام حسان: الأصول دراسة أبستمولوجيا في الفكر اللغوي العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، القاهرة، دط، 1982م،
36. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1990
37. التيسير العجيب في تفسير الغريب ، ابن المنير، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1994
38. الجابري، التراث والحداثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1982م
39. الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م
40. الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، شركة القدس، ط1، 1992م
41. الجرجاني، التعريفات، دار الكتاب اللبناني المصري، بيروت، القاهرة، ط1، 1991
42. جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج1
43. جولييت غارمادي: اللسانية الاجتماعية، تعريب خليل أحمد خليل، دار النشر، دار الطبعة، تاريخ النشر: 1990م، بلد النشر لبنان، المدينة بيروت، ط1
44. الجويني أبو المعالي، البرهان في أصول الفقه، تح: عبد العظيم محمود الديب، دار الوفاء، مصر، المنصورة، ط2، 1413ه
45. الحاجي خليفة، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، دارالفكر ،بيروت،1406،ج1
46. الحاكم، معرفة علوم الحديث، تح: أحمد بن فارس سلوم، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2003م
47. حسني عبد الجليل يوسف، علم كتابة اللغة العربية والإملاء، دار السلام، ط1، مصر، 142ه، 2006م
48. الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، تح: محمد عبد الله، النصر، عثمان ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض

49. الحلبي، الدار المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق، الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ج6
50. حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، 1980م
51. خالد بن سليمان المزيني، المحرر في أسباب نزول القرآن (من خلال الكتب التسعة)، دراسة الأسباب رواية ودراية، دار ابن الجوزي، ج 1
52. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، وضح حواشيه، إبراهيم شمس الدين، دار المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م
53. خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص9.
54. خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة (مع نصوص وتطبيقات)، بيت الحكمة، ط1، 2009
55. دي سوسير، دروس في الألسونية العامة. تر: صالح القرمادي الدار العربية للكتاب، ليبيا
56. ذو الرملة غيلان، ديوان دي الرمة، شرح ابي النصر أحمد حاتم الباهلي، صاحب الأصمعي، الرواية: ابي العباس ثعلب، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح.
57. الرازي: مفاتيح الغيب: التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ج31
58. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1423هـ
59. رومان جاكسون، قضايا شعرية، ترجمة محمد الوالي ومحمد حنوز، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، 1988.
60. الزركشي، البرهان في علم القرآن، تح: محمد أبو الفصل، مكتبة دار التراث، دط، د ت
61. الزركلي خير الدين، الإعلام، دار العلماء الملايين، لبنان، بيروت، ط1، 1997م، ج1

62. الزغبي، المعجم الوافي في النحو العربي، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، د ط، لبنان، د ت
63. الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1
64. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، ج3
65. الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق، د. علي بن ملحم، مكتبة الهلال بيروت، ط1، 1993م
66. زنبة مداوس، نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني في ضوء النظرية السياقية الحديثة، رسالة ماجيستير
67. ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر مكتبة الشباب، ط10، 1986
68. السعدي، تيسير الكريم الرحيم في تفسير كلام المنان، اعتناء: سعد ابن فواز الصهيل، دارين الجوزي، الدمام، ط1، 1422هـ،
69. سعيد ابن منصور، سنن سعيد بن منصور، تح: سعد بن عبد الله آل حميد، دار الصميدعي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط1، 1993م
70. سنن أبي داود، كتاب الأشربة (باب في التحريم والخمر) رقم 3670، سنن الترمذي، كتاب التفسير، ص253، المستدرك، كتاب التفسير
71. سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1979م
72. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الأصول العلمية، ط31، 2019، ج1
73. سيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تح: كمال بشر، مكتبة الشباب، د ط، د ت
74. السيوطي جلال الدين، التحبير في علم التفسير، تح: فتحي عبد القادر فريد، دار العلوم السعودية، الرياض، ط1، 1402خ، 1982م، ص38.
75. السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، ج1

76. الشاطبي أبو إسحاق، الموافقات في أصول الشريعة، تح: مشهور بن حسن آل سلمان، دار بان عفان، السعودية، الرياض، ط1، 1417هـ، 1997م، ج2
77. الشافعي، أسباب نزول القرآن، دار الإصلاح، الدمام، ط2، 1412هـ، 1992م، ج1
78. الشافعي، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، دار التراث، لقاهرة، ط2، 1939
79. الشريف المرتضى، الدلالة القرآنية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 2004م
80. شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، بيروت، أبحاث الترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004م
81. شمس الدين أبو عبد الله، تذكرة الحفاظ، تح: عبد الرحمان بن يحيى المعلمي، دائرة المعارف العثمانية، 1474هـ، ج4
82. الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن مجمع الفقه الإسلامي، جدة ، ج12
83. صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط10، 1977م، ص141.
84. صديق حسن خان القنوجي، أبجد العلوم، أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار دار الكتب العلمية، بيروت، 1978
85. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، د ط، 1984، ج2
86. الطبري محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ، 2000م
87. الطرماح بن حكيم، ديوان الطرماح، تح: عزة حسن، دار الشرق العربي لبنان، بيروت، ط2، 1414هـ، 1994م، ص280.
88. الطنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار النهضة، مصر، 1998، ج15
89. عبد الحكيم بن عبد الله القاسم، دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير بن جرير، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية السعودية، 1420هـ
90. عبد الرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موقم للنشر، دط، د ت، 2007م

91. عبد الرحمان الشهرزوري، مقدمة ابن صلاح في علوم الحديث، تح: نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، 1986م
92. عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: علي بشرى، دار الفكر، 1414هـ، 1994م، ج13
93. عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تح: عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1410هـ، 1990
94. عبد الكريم محمد حسن، في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري، مكتبة الآداب القاهرة، 2015
95. عبد الله بن هشام الأنصاري، أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك، منشورات المكتبة المصرية، صيدة، بيروت
96. عبد الله دراز، النبأ العظيم، تح: عبد الحميد الدخاخني، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1: المملكة العربية السعودية الرياض، 1417هـ، 1997م
97. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م
98. عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص، المفهوم، العلاقة، السلطة، مجد المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2008م
99. عبد الوهاب رشيد، دلالة السياق منهج مأمون في التفسير للقرآن الكريم، عمار للنشر والتوزيع، مجلد1، 2010، ص88.
100. عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، دار النهضة، بيروت، د ط، د ت، ص07.
101. علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري (من البنية الى القراءة)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2002
102. علي آيت أوشان، النص والسياق الشعري من البنية الى القراءة، دار الثقافة، ط1، مؤسسة للنشر والتوزيع الدار البيضاء، 2000م
103. علي بن أحمد الواحد النيسابوري، أسباب النزول، تح: السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، دط، د ت

104. عيد بليغ، السّياق وتوجيه دلالة النص (مقدمة في نظرية البلاغة البنيوية) بلرنسية للنشر والتوزيع، ط1، 1429هـ، 2008م،

105. الغزالي، المستصفى في علم الأصول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1403هـ، ج1

106. فاروق النبهان، المدخل الى علو القرآن الكريم، دار عالم القرآن، حلب، ط1، 1426هـ، 2005م

107. فاضل صالح السمرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر عمان، الأردن، ط2، 2007م

108. فرانسواز أرمينفوا، المقاربة التداولية، ص14، 13، ونواري سعودي أبو زيد في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2009م

109. فوزي عيسى، رانيا فوزي عيسى، علم الدلالة النظرية والتطبيق، دار المعرفة، جامعة الإسكندرية، ط1، 2008

110. فيردناد دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة: صالح قرمادي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985

111. فيليب بلانشيه، التداولية مع " أوستن إلى غوفمان"، تر: صابر حباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2007م

112. قادري عليمة، التداولية وصيغ الخطاب من اللغة الى الفعل التواصلي، الملتقى الدولي الخامس "السيمياء والنص الأدبي" 17 و18 نوفمبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة

113. القاضي، بشير السير، شرح فاطمة الزهر في علم الفواصل، دار السلام، ط1، مصر، 1429هـ، 2008م

114. كلود جيرمان وريمون لوبلون، علم الدلالة، ترجمة: نور الهدى لوشن، المكتب الجامعي الحديث، ط1، 2006

115. لمناع بن خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، د/ب، ط/ 1424، 3هـ، 2000م

116. ليلى كادة، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية، ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، العلوم في علوم اللسان العربي

117. المثنى عبد الفتاح محمود، نظرية السياق القرآني، دراسة تأصيلية دلالية نقدية، دار وائل عمان الأردن، ط1، 2008م

118. محمد أحمد خضير، التركيب والدلالة والسياق، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، القاهرة، دط، 2008م

119. محمد السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، ط1، 1417هـ، 1997م

120. محمد السمعاني، الأنساب، تج: محمد عبد القادر عطا، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ، 1998م

121. محمد بن صالح العاثمي، التفاصيل في تفسير سورة آل عمران، دار القلم، 1978م

122. محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، تح: الدكتور محمد مصطفى أيدين، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1

123. محمد بن قاسم الأنباري، كتاب الأضداد، تح: محمد أبو الفضل لإبراهيم، المكتبة المصرية، بيروت، لبنان، دط، 1987م

124. محمد حسن فضل الله، الحوار في القرآن، قواعده، أساليبه، معطياته، الدار الإسلامية، بيروت، ط1، د ت

125. محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل الى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، 2006م

126. محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الكريم (التشهيد، تفسير، المنار) دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، ط2، 1417هـ، 1997م، ج1

127. محمد عابر الجابري، الخطاب العربي المعاصر (دراسة تحليلية نقدية)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2001م

128. محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ط1، 1996م، ج1

129. محمد علي الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006م، ج1

130. محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، 1997م

131. محمود المصري، قصة سيدنا يوسف – عليه السلام – القاهرة، مكنية الصفا، ط1

132. محمود بن حمزة الكرماني، البرهان في متشابه القرآن، تح: أحمد عز الدين بن عبد الله خلف الله، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط2، 1418ه

133. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة بيروت، ط1، جويلية، 2005م

134. مسند الإمام أحمد ، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2001م ، ج1/ص232.

135. مليكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة

136. منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث الغربي، عن منشورات اتحاد الكتب العرب، دمشق، 2001م

137. النسائي، السنن الكبرى، دار السلام، الرياض، 1400ه، د1

138. النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1411، 1ه، 1990م

139. هادي نهر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 1429ه، 2008م

140. الهاشمي السيد أحمد، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، مؤسسة الكتب الثقافية، ط2، لبنان، 1415ه، 1995م

141. الواحدي، أسباب نزول القرآن ، تح: أحمد صقر، دار الكتب الجديدة، ط1

142. وأنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، دار المعارف، ط2، مصر، 1392هـ، 1972م، ج2

143. يحيى بن حمزة العلوي، الطراز، تح: عبد المجيد هنداوي، المكتبة المصرية صيدا، لبنان، ط1، 2002م، ج1

144. يحيى عبابنة، علم اللغة المعاصر – تطبيقات ومقدمات – دار الكتاب الثقافي، الأردن، 1426هـ، 2005م

المجلات

1. أمال السيد محمد الأمين، أنواع السياق في القرآن الكريم، دراسة تفسيرية موضوعية، مجلة جامعة الناصر، مجلة أسبوعية، جامعة الملك خالد، السعودية، العدد7، يناير، يونيو، 2016

2. خليل بشير العامري، السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج: 9، العدد 02، 2010، ص48.

3. عبد الله بن إبراهيم الوهبي (أسباب النزول وأثرها في تفسير القرآن الكريم)، مجلة البحوث الإسلامية، ع: 38

4. غنية تومي، السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد6، 2010

5. مجلة البحوث الإسلامية، أسباب النزول وأثرها في تفسير القرآن الكريم، الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، العدد: 38

6. مجلة الخطاب، دورة أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات، البحوث العلمية في اللغة والأدب منشورات محبر التحليل، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، العدد 08

المواقع الالكتورنية:

7. 1مرتاض المطهري، تفسير سورة الشرح، هدى القرآن، موقع متخصص في القرآن الكريم وعلومه التابع لحوزة الهدى للدراسات الإسلامية، مقال تشرفي، 21 مارس 2008م، تاريخ الزيارة: 27 جويلية 2020.

1. – ابن تيمية، الرسالة التدميرية، تحقيق، محمد بن عودة السعودي، مكتبة العبكان، ط6، 2000، الموقع الالكتروني: http/www. At chive. Arg / detaits / rerta. تاريخ الزيارة 2020/07/27.

الفهرس

الفهرس

المحتوى	الصفحة
شكر وعرفان	
إهداء	
المقدمة	أ-ج
المدخل: المفهوم اللغوي للسياق	
السياق في القاموس العربي	5
السياق في القاموس الغربي	6
المفهوم الاصطلاحي	6
أثر السياق	8
الفرق بين النص والخطاب	10
الفصل الأول: السياق: الماهية والمفهوم والأقسام	
المبحث الأول: السياق في التراث العربي	17
المطلب الأول: السياق عند العرب القدامى	17
أولا: عند المفسرين	17
ثانيا: عند البلاغيين والنقاد والأدباء	20
ثالثا: عند اللغويين والنحويين	22
المطلب الثاني: السياق عند العرب المحدثين	25
المبحث الثاني: السياق في التراث الغربي	27
المطلب الأول: السياق في المدارس اللسانية الأوروبية	27
أ- مدرسة السياق	27
ب- المدرسة الوظيفية	29
المطلب الثاني: مفهوم السياق في المدارس اللسانية الأمريكية	34
أ- التوزيعية السلوكية	34
ب- التوليدية	36

المبحث الثالث: أهمية السياق القرآني وبيان خصائصه	39
المطلب الأول: أهمية السياق القرآني	39
المطلب الثاني: خصائص السياق القرآني	46
المطلب الثالث: أنواع السياق القرآني	47
الفصل الثاني: دراسة تطبيقية "السياق أنماطه وتطبيقاته في الخطاب القرآني	
المبحث الأول: أثر سياقات النص القرآني في فهم النص	58
المطلب الأول: السياق السببي (أسباب النزول)	58
المطلب الثاني: السياق المكاني (المكي والمدني)	71
المطلب الثالث: السياق التداولي (الخطاب القرآني).	87
المبحث الثاني: أثر أنماط السياق القرآني في فهم النص	96
المطلب الأول: أثر أنماط السياق القرآني الداخلي (اللغوي) في فهم النص	96
المطلب الثاني: أثر أنماط السياق القرآني الخارجي (غير اللغوي) في فهم النص.	133
الخاتمة	151
قائمة المصادر والمراجع	155
الفهرس	169